

نمر سعدي

مَدِينَتِي مَدِينَةَ
مَدِينَةِ

شعر

إهداء

إليها

إليّ

إلينا

إلى ما تممرّ دَفينَا علينا

كُتبتْ هذه القصائد بين الأعوام 2001 إلى 2008

الحياة كما أنا أفهمها

الحياةُ كما أنا أفهمُها
لهفةٌ لسماءٍ ملوّنةٍ بالنداءاتِ
روحُ الينابيعِ تحمليّني مثلَ عطرِ الندى
زهوةٌ للحصانِ المُجنّحِ في
احتراقِ الأباريقِ في قُبّةِ الليلِ
طعمُ النساءِ المُدجّجِ بالنارِ.....
فوضى القصائدِ والأغنياتِ البريئةِ...
نومُ الأحاسيسِ في قاعِ نهرِ اللّغةِ
واقتناصُ زهورِ الفراشاتِ من أربعاءِ الرمادِ
والحلولِ النهائيِّ للعشقِ في جسدِ الصبحِ
وهو يزفُّ البياضَ النبيلَ لقلبِ البلادِ
شهوةٌ من حريرِ تلفُ الفؤادِ
رفيفُ رخامِ الأنوثةِ أو لمعانُ القرنفلِ تحتَ السوادِ
الحياةُ كما أنا أفهمُها
لا كما أنتَ تفهمُها فتفسرُها بالجمادِ

غوايات

تتجلى غواياتها البيضُ لي
من سماواتِ برزخها وبرزخِ فتنتها
فأغيبُ على مهلي
خلفَ أعضائها...
هيَ ما تتركُ الجاذبيةُ من شبقِ ضائعِ الوجهِ
في مفصلي
هيَ أصلُ البدايةِ / أصلُ النهايةِ
في الأولِ
هيَ ما يجمعُ الشهدُ والبرقُ لي
من سرابِ عذاباته
واشتهاءاته
السلسلِ
تزوِّجَ نظرَها شجرُ الكستناء
المسافرُ في الليلِ نحوَ بلادٍ من المُحملِ



علّمتني

علّمتني انكساراتها العالیه
أنني لستُ غيرَ انعكاساتِ
أشياءها في المداراتِ
أنّ كلامي الأخير لها
قبضُ ریحِ مُسوّمة في المرايا
وأنّ دمائيّ قَدَّاحٌ ليلٍ على رملها...
وأنّ روحي أيقونةٌ عارِيه...!

ما تشائينُ

ها هنا ما تشائينَ لا ما أشاءُ
فأنا فارسٌ من زمانٍ مضى
وانقضى حُبُهُ.. مثلُ قطرةٍ ماءٍ
هوتَ في العراءِ
لونُ عينيكِ يثقبُ قلبي كما انغرسَ السيفُ
في زهرةِ الهندباءِ
ويطرحني نازفًا بالقطيفةِ أو بالحمامِ الملوّنِ
أو بخطاكِ على كوكبٍ مُعشَبٍ بالأغانيِ الجريجةِ
أو بالرؤى فوق صدرِ السماءِ
ها هنا ما تشائينَ لا ما أشاءُ

آب 2007

فوق هُوّة إيقاعها العابرة

(إلى داليا رايكوفتش)

صوتُها لا أُطيقُ ابتسامته الماكرة
ليعلّقَ أحزائها فوقَ أفراحِ قلبي
ويبرأ من دمها...
الحزنُ ذئبٌ بعينيّ أعرفهُ....
الحزنُ ذئبٌ بريءٌ يلاعبي ويُمسّدُ لي وجعَ الذاكرة
لا أُطيقُ الغمامَ الخفيّ الذي يتصاعدُ من دمِها البشريّ
ومن وهي بالندى كلّما انتحرتْ شاعرة
فوق هُوّة إيقاعها العابرة

كانتِ الرُّوحُ في عامِ 91 تختزلُ اللحظةَ المُشتهاةَ
وتصنعُ للحُبِّ جغرافيا من جهاتِ القصائدِ
تفهمُ أشواقها الطائرةَ
كانَ بيبي وبينَ جهنمٍ سبعونَ ألفَ حريفٍ
توجّلني مثلما أجلّتكَ عِصافيرُ يافا
على شرفةٍ في غدٍ ساهرة
كانَ لي ولكِ الطيرانُ على جَنّةِ ماطرة

لا أُطيقُ ابتسامته عينينِ ملءِ المدى
تسبحانِ وملءِ الندى
تكتبانِ عذابِي على لهفةِ السنديانِ

أما كَانَ مَتَسَّعٌ ضَبِيقٌ وَاسِعٌ / خَادِعٌ
بيننا لقصائد سيلفيا بلاث الأخيرة؟
أو لنتربَّ حاضِرنا ليليقَ بلونِ الفراشة؟
أو لنتقيسَ المسافةَ ما بينَ أرواحنا والصَّدى؟
في زقاقِ المدينةِ في أسفلِ الليلِ / والظلِّ
والزهريِّ / والشعريِّ
والرغباتِ الأخيرة... نصعدُها
ثمَّ تصعدُنا للسحابِ

ويجهشُ فينا هنا ملءَ أحلامنا
شجرٌ من ضبابِ

نأخذُ الفرحَ المُختلسَ
ثمَّ نجلسُهُ في حديقةِ أجسادنا
ونمشطُ شعرَ البنايينَ حتى انطفأَ المياهُ
ونبكي على الأندلسِ

وفي تلِ أبيبِ نُضَيِّعُ أسماءنا
كلَّ يومٍ على حافةِ القمرِ المرِّ...
نرمي بأشياننا نحوَ يركونها
ويدورُ بنا الانتظارُ فرادى لما ليسَ يأتي...
انتظارُ لجودو بيكيتِ رُبَّمَا...

ولما ليسَ يحدثُ في أمسنا المنتقى...

سأروّضُ رُوحِي إذنً لتأملِ وجهكِ تحت الرذاذِ
المسيحِ بالنارِ واللوزِ... أو بجمالِ الحياةِ
الذي يقتلُ الشعراءَ...
أنا صفةٌ للحصانِ الحزينِ الغريبِ
فهل قطعةٌ أنتِ من عنفوانِ الفرسِ؟

يتناسلُ منكِ شريطُ تلونهُ الذكرياتُ
وأنتِ على شفقٍ من رخامكِ مرميةٌ
لا شذى يتصاعدُ من نارِ قلبكِ
لا وردةٌ / آه لا قبلةٌ /... تبخّرُ ما بيننا
الطبيعةُ ماتتْ هنا لا نفسُ

تتناسلُ أحلامُكِ العاطفيةُ
مني... كما يتناسلُ وردُ الشوارعِ
من تل أبيبِ الصليبِ الأخيرِ لعاطفتي
فوقَ جلجلةِ العالمِ المتحضّرِ
تقتلني ثم ترفعني كي أمسَّ شفاهُ السماءِ
على فمِ شاعرتي آه لكنني غيرُ
صوتِ دمي لا أمسّ...

أيلول 2007

أغنية تحت أمطار أبابيلية

في ليلة ما عندما يصحو الندى في حنطة الأيام
سوف يضيئي وجعي الذي أدمتته زمنا...
وتركض في مفاصل وردتي نار الجوس...
يحيلني ندمي إلى أنقاض فردوس
يحيل دمي فقاعات النيذ المر في قلب امرئ القيس
المعذب بالجمال الحر أو بلحاق قيصر

في ليلة ما عندما تأتين سوف يضيئي شوقي
بأعقاب النجوم وزرقة المنسي من أحلامها
في مخدع الأفعى وقلب الشاعر البدوي
يبحث عن حفيف القبله الأولى
وعن معنى غموض الحب فيما بيننا وجماله...

في ليلة ما عندما تبكين
سوف يصيبي زهبا الحنين بلونك المملوء بالنايات
سوف تخضني الدفلى لأملأ من يديك دموعها الأنثى
كما الأجراس تملأني برائحة اشتهاك
تعبر الدنيا على جسدي الموزع في خلايا مائك الجنسي
يصرخ دونما صوت...
ويركض في مفاصل وردتي ماء الشمس

بكِ أوِ بغيركِ سوفَ أحلمُ...
لعنّتي / حرّيتي
في البحثِ عن أسرارِ عرّابٍ
يزوّجُ صيفنا لشتاءِ محمودٍ وريتنا

بكِ أوِ بصبحِ طيوركِ الملقاة
من شجري سأحلمُ هكذا حرّاً
بلا طوقٍ يشبُّ القلبُ عنه وعن يديكِ
والتقي بصباكِ في ظلِّ الغنائياتِ
أو بالآخرينَ المسرعينَ
إلى اقتسامِ الحبِّ في قلبي وقلبكِ في سدومٍ

الآخرونَ همُ الجحيمُ
الآخرونَ همُ الجحيمُ
وضياعنا الأبديةُ في هذا الزحامِ
على الحياةِ جميلةٌ وملوّعةٌ
كلُّ الطيورِ البيضِ تجفلُ في دمي
وتفرُّ منكِ حزينَةً ومروّعةً
ما حبّنا إلّا رماحُ النارِ
في جسمي وجسمكِ مُشرّعةً
أمطارُهُ همي أبايليةً... وأنا أغني...
...

سأحرسُ نومها المائيَّ بالقبلاّتِ
أحرسُ ليلها المنخوبَ بالشهقاتِ
أحرسُ ظلّها بأصابع النعناعِ
أتركُ ما يهبُ من الأغاني والندى الليلي
على جسدي يجفُّ كما تجفُّ الرِّيحُ في دمها
وتصعدُ نورسًا في القلب مائيًا
إلى شفّي

يطيرُ نداؤها بي في الفضاءِ كأنني أسعى
على عينيَّ من قاع الحياةِ
كانَّ شوقَ دمي إلى دمها
يقبّلُ زهرةَ الأفعى...



موسيقى مرئية

قدماك تعزفانِ موسيقى مرئية
بي رغبةً لا احتضانها حتى الضياع...

(1)

من قاع نهر بويبَ تصعدُ هُفَّةُ السَّيَّابِ
يأتي صوتُهُ المحمولُ فوقَ الرِّيحِ
يصرخُ في عراءِ الروحِ
يعصفُ بي كوردِ غامضِ المعنى
يعانقُ داخلي المجرَّوحَ
دونَ دمٍ أثيريٍّ... أحبِّبني لعلَّ طفولةَ الأشجارِ
تحمِلنا إلى ماضٍ هلاميٍّ بلا عربٍ وعاريةٍ...
يُرفرفُ فيكِ نهرٌ قاحلُ الإحساسِ
يصرخُ آخري: لا تنظري لسدومَ
— وجهك لعنتي ورؤايَ —
أوقدتُ الزهورَ جميعها فيها
وماتَ على مداخلها انتظاري
لبهاءٍ ما أحرقتِ من لحمِ الشموعِ
ومن ضلوعي
إذ ينازعها محارُ بويبَ أوجاعَ
الندى والعاج في سرٍّ وصلصلةٍ
(أحبِّبني لأني كلُّ من أحببتُ غيركٍ لم يحبَّوني)

وداسوا القلبَ مرمياً على نوارك المحروقِ بالقبلاتِ...
يذبلُ في صيفِ الحبِّ والرؤيا وتزهَرُ فيكِ ناري

(2)

من ألفِ دهرِ ضائعِ القسَماتِ مثلكِ أو يزيدُ
ودمي يُصَفِّقُ في ربيعٍ مرَّ أو صيفٍ بعيدُ
رَبَّيْتُهُ بفحيحِ عطركِ وانحلالِكِ في مساءِ الرُّوحِ
يا جسدَ الورودِ
رَبَّيْتُهُ بغيابكِ المملوءِ بالأحلامِ
عاريةً وحافيةً تنامُ على اشتعالِ الماءِ بالنارنجِ والدفلى
كأنَّ دمي وليدُ
رَبَّيْتُهُ بغدٍ يرفرفُ في مثلِ الحلمِ
أو بيدٍ من الشَّفَقِ المُنحَّحِ في فراشاتِ النشيدِ

(3)

من ألفِ حُبِّ ضائعِ القسَماتِ مثلكِ أو يزيدُ
وأنا أسيرُ لهوَةَ الماضيِ السحيقةِ
باحثاً عني وعن... لغةِ الحقيقةِ
سيزيفُ أحملهُ ويحملني على جبلِ الخطيئةِ والعذابِ
لكلِّ قلبٍ حلمه العذريُّ منا والمُكفَّنُ بالضبابِ
يطلُّ من شجرٍ يضيءُ عليه
أو من كوّةِ القمرِ العتيقةِ

(4)

لا غابةُ الأشواقِ تعرفُنِي
ولا حزنُ السنونو في دمي يبكي
ولا عشبٌ على هُدبِ يُلامسني يحيلُ دمي حديقتهُ
وغدا حلولي فيكَ يا حسدَ القصيدةِ وانكساري
في مراياكَ الشفِيقه
وغدا حلولُكَ فيَّ يا معنَى بلا لفظ
يؤثثُ بالصراخِ وبالرؤى مجدَّ انتصاري

(5)

ومن انهمارِ الناسِ مثلَ الدَّمعِ
في وجعِ الزحامِ أو الكلامِ
ينسلُّ وجهُكَ مثلَ عصفورٍ شماليٍّ
يودِّعني وملءِ حفيفه ورفيفه
تأتينَ من عبقٍ ومن شبقٍ
كأقواسِ الغمامِ
الشمسُ تغسلُ كاحليكِ بما ينزُّ من المحارِ
من لمسة عطشى يذوبُ على أصابعها الظلامِ
ضوءاً رخامياً... تفتحُ فيهما زهرا تُ نارُ

(6)

لا تتركي داوودَ، آه رأيتُ جالوتا رماه
فوقَ الصخورِ... رأيتُ أحصنةً بأجنحةٍ
ترّفُ على دماه
... لا تتركي فوقَ الصليبِ يسوعَ وهو يصيحُ آه

(7)

تفاحةٌ عيناك، تقضمها الأفاعي في كهوفٍ
ثلجُ السنينِ يسُدّها عني وعن قمرِ الخريفِ
عيناك...؟؟!
أم جنكيزُ خلفَ البحرِ يشحذُ لي السُّيوفَ
وأنا سمائي كُلّها تغفو على نقرِ الدُّفوفِ.

(8)

سأعيشُ مسكوناً بنبضِ يديكِ
مدهونا بزهرِ البرتقالِ
وموسيقى سمفونيةٍ مرثيةٍ
للحُبِّ همسُ بي تعالُ
سأعيشُ رغمَ قریش، أكتبها
بعطرِ دمي يصفقُ في الرمالِ
وأجيءُ رغمَ قریش...
في قلبي المَحْنَطِ ألفُ رؤيا للجمالِ

ربيع عام 2006

النَّوَارِسُ فِي دَمِي تَبْكِي

سَأَلْتُ يَوْمًا مَا تَنَاطَرَ مِنْ صَدَى
قَدَمَيْكَ حَوْلَ ضِفَافِ قَلْبِي
مِثْلَ عَطْرِ النَّارِ يَفْجَأُنِي...
النَّوَارِسُ فِي دَمِي تَبْكِي
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الرُّوحِ... تَمَلَّأُنِي بِدَمْعِ شَقَائِقِ النِّعْمَانِ
قَلْبِي زَائِدٌ عَنْ حُدِّهِ
أَوْ نَاقِصٌ مِنْ وَرْدِهِ
شَفَةً تَقَلِّمُ لِي حِنَانَ الأَرْضِ وَهُوَ يَفِيضُ عَنْ وَجْهِهِ
وَعَنْ لُغَةِ ارْتِحَالِي فِي الضَّبَابِ
سَأَلْتُ يَوْمًا مَا بِأَهْدَابِي زَهْوَرَ بِبَحِيرَةِ الحُمَّى
تَهْدَهُ رُوحَ لَامْرَتَيْنِ فِي شَفَقِ العَذَابِ
تَضِيئُنِي لِعَتِي بِلَا قَمَرٍ رِخَامِي
وَيَطْفِئُنِي عِرَاءُ جَمَالِكِ المَهْمُورِ بِالمَوْجِ الحَزِينِ
عَلَى ذُبُولِ الصَّمْتِ وَالمَهْدُورِ بِالنِّعْنَاعِ فِي أَيْدِ السَّحَابِ



لهفةُ الفينيقُ

روحي تنامُ على تنفُّسِ مائِها الدُرِّيِّ في أشعارِ هولدرلينَ
فيما جلدُها الرخوُ المضمَّخُ بالنعاسِ وبانسيابِ العاجِ
يشهقُ في شراييني ويعوي في شتائي.
لم اقترنُ بفضائها اللغويِّ إلاَّ كي اردَّ النقصَ
عن أسرابِ موسيقيي..

أقطفَ حكمةً بيضاءَ من بستانِ فردانِيّ...
أنا لهفةُ الفينيقِ في غدها المُحنَى بالحدائقِ
والرَّمادِ الأرجوانيِّ المُعطرِ بالحنينِ إلى مكانٍ
لستُ أعرفُهُ،

الحنينِ إلى زمانٍ
ليسَ يعرفني... ولوعةُ أسئلتهِ
ترفو عذابَ الليلِ في قلبي... ونارُ قرنفلهِ
بدمي أراها في الهواءِ الرَّحصِ
تنحلُّ القصيدةُ دونَ قبْلِتها ووحدي لا أرى
عطشَ الإباحيينَ ينضحُ من أصابعها
على قمرِ القرى
في القلبِ وهو يخبُّ في جمرِ
الغوايةِ كائنا / صفةً لعينيها ويلحقُ قيصرًا.

أيار 2005

حينما الوحي ينزفُ مني

هل أرقْتُ على مثلها ندمي؟

أم دمي؟

أم عراءَ الربيع، وقبلَةَ عينيَّ

في شهرِ آذارَ؟ أم دمعَ نوَّارها...؟

زهرةُ الرِّيحِ مرَّت بنا

في مرايا المساءِ الأخيرِ هنا

حينَ كُنَّا

على طرفِ الأرضِ نبحثُ عنَّا

بلا طائلٍ... فتمسَّ هي النايَ في شغفٍ بالغِ

وأنا دونَ وعيِ العبارةِ أصرخُ من ألمي

هل أرقْتُ فمي فوقَ صلِّصالها؟

ونثرتُ على ليلها

سبحةَ القلبِ، والعُمرِ، والأمنياتِ؟

هل أرقْتُ على مثلها

ندمي أم دمي البكرَ؟

أم نرجسَ الشبهاتِ العصيَّةِ؟ أم حبَّقَ الأغنياتِ؟

أم كسرتُ رتابةَ أحلامها؟

ربَّما... بصراخي مريضًا من الوجدِ للأنبياءِ

"أنا ابنكمو
والفتى الضالُّ في فلواتِ المزاميرِ
ضعتُ فلا تتركوني... وحيداً / شريداً / طريدا
سيأتي زمانٌ وينقذني" ربّماً ربّماً...
كنتُ ذاتَ خريفٍ أليفٍ
كسرتُ هشاشةَ أيامها
ونهرتُ الهواءَ القديمَ الجديدَ عن الذكرياتِ
التي سوفَ تأتي غداً كالْمسيحِ
لتغسلني من خطايايَ
أو لتربيَ رؤايَ
على مهلها...
مثلما حجلُ الدَّيرِ يكبرُ
أو طفلةُ الغيمِ من مُنتهايَ
تسيرُ إلى مُبتدأيَ

حينَ لا أجدُ الشَّعرَ كيَ أرتقَ الروحَ
بالبحرِ أو بخطى الكلماتِ
حينما أجدُ النهرَ في ثقبها
وهو يجري بنحلٍ تلوَّنه
شهوةٌ كالصباحِ البريءِ إلى ما وراءَ الحياةِ
حينما الوحيُ ينزفُ مني
فتبتلُّ أغصانُ أعلى الشَّجرِ
وتبتلُّ ريحُ المعاني مسافرةً في المطرِ

هل أرقْتُ عليها / عليَّ القصيدةَ
فانغمستُ في دمي
كالشواظِ المشعِّ سنا / وأنا
كنتُ في حضرةِ النايِ أصرُخُ من ألمي
حاملاً دونَ سيزيفَ صخرَ فمي وضلوعي
وإرثَ العدمِ
نحوَ هاويةٍ في خيالِ القممِ

آذار 2008

أغنية إلى طروادة ثانية

ساعةٌ سأعزِّي خُطايَ من الدَّمِ...
من رغبتِي في اقتناصِ العباراتِ رثانةً
وأسميكَ أعلى من الانحدارِ إلى مجدنا
المتأرجحِ في زمنِ العنكبوتِ

ساعةٌ سأعزِّي القواميسَ من لغتي
والمساءاتِ من فرحتي
إذ يؤجِّلها صوتُ ملحمةٍ في جنوبِ الضلوعِ
بغيرِ حصانٍ ومن دونِ بحرٍ

يطلُّ على ما وراء السَّمَاءِ

/ وطروادةً انكسرتُ في الأساطيرِ /
وانتحرتُ رَبَّةَ الشعرِ فيها /

ساعةً سأمرُّ على ما يقولُ المضارعُ
في كلِّ أوقاتها
ما تقولُ الشوارعُ، أشجارها، العابرونَ
إلى عالمٍ حالمٍ، صمتها، لونها، وحدائقها العامَّةُ،
الأرجوانُ على ليلها، وانكسارُ النهارِ،
نوافيرها،
وأزاهيرها
في المساءِ الملوّنِ تُذبحُ لكنَّها لا تموتُ.

آه يا آخري
أنا أعرفُ أنكَ تكرهني دوغما سببِ مُقنعِ
لصراعِ الحضاراتِ، لكنني سأجاملُ
حتى النهايةِ من أجلِ معنى الحنينِ
لأعرفَ ماهيتي... من أنا؟؟ ما أكونُ؟؟ /

لن أفكّرَ إلاّ بحريّةِ الأغنياتِ التي سجّنها
فنامتُ على صدرِ طروادةِ ثانية.

بذا قضت الطائراتُ هنا
بينَ أهلي وأهلكِ من قبلُ أو بعدُ
ملءَ عراءِ البداياتِ
ملءَ عراءِ النهاياتِ
أو أنها حكمةٌ للبرابرةِ القادمينَ
إلى شمسنا العربيةِ
كي يشربوا ماءَ أحلامنا
ولكي يقضموا زهرَ أيّامنا...
حكمةٌ للبرابرةِ القادمينَ

ساعةٌ سأعريّ يديّ من الذكرياتِ
ونوارٍ آذارها الفجّ...
حُرّيّتي من دمي / مفرداتي من الشّمعِ
عينيّ ممّا تغنيّ النجومُ وراءَ الأبدِ

ساعةٌ سأسمّيّ دمي حبّاً مشتهيّ
في حدائقِ عينيكِ يعلو إلى الانعتاقِ...
وأسمّيّ رؤاكِ فضاءَ الجسدِ

محضُ فمٍ و حيد

متنصلاً من لعنة الأسماءِ من دمكِ الشفيفِ
كزهرةِ الليلِ المخضَّبِ بي ومن أشهىِ نبوءاتي
ومن دمعِ السَّماءِ يهبُ في لغتي
وفي قوسِ الدَّمِ القزحيِّ
في الما-بينَ من جسدي
أنا المصلوبُ في شفقِ
أعانقُ في أعاليِ الأغنياتِ
ضبابَ آيامي بلا عنقِ
عليها ختمُ أفعىٍّ من ثمودُ

مترجلاً عن شهوةِ الألفاظِ
عن قمرِ المجازِ المحضِ...
حينَ يصيرُ آخرَ قبلةِ عمياءَ في شفةِ المعاني

متشكلاً منِّي ومنكِ هناكِ
في هذا الرخامِ الحيِّ
كيما أطمئنُ إلى كياني
وأنينِ روحينا الخفيِّ اللونِ
يقبعُ في نهارِ قصيدةِ أخذتُ حناني
ومضتُ... فمن يرثي الرخامَ الحيِّ؟
لونَ الليلِ؟ وردَ النارِ؟ سرُّ الثلجِ؟ عنوانَ انكساراتي؟

المجازُ الصرْفُ؟ من يرثي مساءلتي؟
مكاشفتي البريئةَ كالأغاني؟
من للندى العفويّ ينهضُ في الصَّبّاحِ؟
ولا حتضارِ قطيفتي؟ لسفرِ رجلِ الأيَّامِ بعدَكَ إذ يعاني؟
لأمدّهُ بيديكِ أو ليمدّني بغدِ
أعانقُ فيه أحلامي على حقويكِ
ألثمُ ما تعرّى من خيالاتِ القصيدةِ فيكِ
كلُّ دمي وكلُّ نشيدِ أنشادي وكلُّ يديَّ
عينيَّ
ارتعاشاتُ المجرّةِ فيَّ
محضُ فمٍ وحيدُ

أنا نايُ حزنكِ حينَ تعبرني رياحُ الشرقِ
أصهلُ في مرايا الذاهبينَ إلى الشمالِ بلا حكايا
أو مواجدَ لا تهاجرُ كالنوارسِ
مُشعلاً في كلِّ ما يرثُ المدى المسحورُ
من خفقانِ أجنحتي على غاباتكِ العذراءِ
ثلجَ شفاهكِ الظمأى وأغصانَ النشيدِ

شتاء 2008

الحُب الدامي

هذه قصة حقيقية جرت أحداثها في ضاحية من ضواحي حيفا. ربط الحب فيها بين روحين بريئين سعيدين بالحياة، حزينين ومخلصين لفرحهما المختلس. ولشوق الحياة، روحين مشتعلين بأوار الجسد وبنداءات الملائكة الأرضيين. روحين لآفي ورونا، التي أحبها آفي حتى جنون أعضائه المبعثرة في مجرّة قديمة ضائعة خارجة على مدار الزمن. أحبّها رغم كل شيء. رغم فشله الذريع في عمله وفوضويته وتقلبه في حياة مضطربة عاطفياً واجتماعياً ومادياً ونفسياً. وفي النهاية تحمل فشله في كل شيء، ولم يستطع أن يرّتب نهاره المبعثر كزهرة عباد الشمس فوق شاطئ كريات يام. ولم يتحمل فشل حبه لرونا التي ضاقت بفوضوية حياته وطبعه المشاغب البريء، رونا التي كوّنت عالمه جزءاً جزءاً هناك على ساحل أبعديته. فكانت النهاية موجعة ومأساوية وملأى بالدمع والدم والأسئلة الغامضة. وبنشيج يغمغم في روحه. وكانت ليلة لجنون الرصاص.

غرقت نارنا في دموع المحبين
واشتعلت في مراياك تحملني للأبد
نحو صبح بلا قبالات يضيء
على جانبيك سهيل الزبد
غرقت في نارك أو أيقظت
فيك ناري فحيح الجسد.
يتمتم آفي كلاما غريبا

عن الحبِّ والبندقيَّةِ بينهما
— عانقيني لأطلقَ بعضَ الرصاصِ
على نورسِ حائفٍ في عيونكِ
بعضَ الرصاصِ على قمرِ
يتسكَّعُ ملءَ سَمائكِ أو ملءَ حيفا
وبينهما البندقيَّةُ نائمةً
وتنامُ على جسدِ البحرِ حيفا
بلا قمرٍ وبلا ذكرياتٍ...
ورونا كأحلامِ غوغانٍ
تغفو على مهلٍ مثلَ طفلٍ حزينٍ
رياحُ النجومِ تهبُّ على ثلجها فيشبُّ...
بلا وعيها الخاصِّ تحلمُ ضائعةُ الروحِ
ملتفةً بملاءةِ غوغانِ يكسرُها البحرُ...
وهو بجانبها مثلَ نهرٍ بعيدٍ غريبِ النجومِ
يحشرجُ أو يستعدُّ لموتٍ قريبٍ الخطي...
— سوفَ ألعنُ هذي الحياةَ
بما ملكَ القلبُ من قرفٍ...
غمغمتُ شفتاهُ...
ولا شيءَ يقتلُ كالذكرياتِ الجميلة...
لا عنفوانِ النساءِ
ولا البندقيَّةُ ما بيننا نائمينِ
بلا جنةٍ خلفَ بلورِ روحِي وروحكِ...
لا شيءٌ يقتلُ كالذكرياتِ

كَانَ آفْسِي عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ صَهِيلِ الْجَسَدِ
يُودِعُ أَحْلَامَهُ بِسَوَادِ النَّحِيبِ الْخَفِيِّ
لشَاطِئِ كَرِيَاتِ يَوْمٍ
يَصْطَفِي لَيْلَ رَوْنَا بِأَكْمَلِهِ
وَيَزِيحُ الشَّدَى الصَّلْبَ عَنِ جَسْمِهَا بِاللِّسَانِ
وَلَكِنَّهُ كَلَّمَا شَعَّتْ الْأَسْئَلَةُ
تَحْمَدُ النَّارَ فِي رُوحِهِ
— آه رَوْنَا الْجَمِيلَةُ حَتَّى الْبِكَاءِ
أَنْتِ لِي قَدْرُ الْحَبِّ وَالْمَوْتِ
فِي حِنَةِ الْأَرْضِ أَوْ فِي جَحِيمِ السَّمَاءِ.
أَيُّ مَعْنَى لِحَبِّ الْغَزَالَةِ لِلذَّبِّ...؟
حَبُّ الْحَمَامَةِ لِلْأَفْعَوَانِ؟
أَيُّ مَعْنَى لِنَقْشِ جَنُونِ الرِّصَاصِ
الْمُحَبِّ عَلَى جَسَدِ الْأَرْجَوَانِ؟

....

يَنْزِعُ اللَّيْلُ قِمصَانَهُ الدَّمَوِيَّةَ عَنِ زَهْرِ صَفصَافَةٍ
يَرْفَعُ الْبَحْرُ زَرْقَتَهُ كَنْدَاءً إِلَى اللَّهِ
— مَنْ أَيْقَظَ الْبِنْدِيقِيَّةَ — ؟
لَيْسَ سِوَى الْبَحْرِ مِنْ شَاهِدٍ
وَالْحَقِيقَةُ تَحْتَ نَدَى لَامِعِ جُتَّتَانِ
وَالْعَصَافِيرُ مِنْهَكَةٌ تَحْتَ قَصْدِيرِ
شَمْسٍ صِنَاعِيَّةٍ صَدَّتْ مِثْلَ وَرْدِ الْمَقَابِرِ
فِي الْمَطَرِ الْحَامِضِيِّ

العصافيرُ مَيَّتَةٌ حَيْثُ شَتَّ هُنَا أَوْ هُنَاكَ...
وَفِي الْحُبِّ مَتَسَعٌ لِلرِّصَاصِ... وَلِلسَّخْرِيَّةِ
وَمَتَسَعٌ لِدَمِ الْأَغْنِيَةِ

فِي مَهَبِّ الْعِنَاقِ

إِنَّ نِصْفَ الْقِصَائِدِ أَحْرَقْتُهُ
وَالْبَقِيَّةُ فِي سَلَّةِ الْمَهْمَلَاتِ
رَمَتْهَا عَيُونُ النِّسَاءِ اللُّوَاطِي
التَّقِيَّتُ بِهِنَّ عَلَى عَجَلٍ فِي مَهَبِّ الْعِنَاقِ
عَلَى شَرَفَةِ الذِّكْرِيَّاتِ
بَعْدَمَا اشْتَعَلَ الْحُبُّ شَيْبًا... وَمَاتَ..!

في الطريق

في الطريق يوحدني صوتها
نحو بحر مسجى من الشعر والأسئلة
في الطريق توزعني قبلة لا تُسمى
على جنة مقله

في الطريق سأرمي يدي على فسحة
في خواء قليل ضليل
وأسأل حتى صراخ العناصر
في شهوة الريح والشهد من شهريار

أيا شهرزاد الجميلة
من ذبح الصبح في ليل عينيك أو أجله؟
كورد أخير على فم عاصفة مهملة
كجسمين في برزخ للشتاء
راحت تقلم زهرهما
تزوج هريهما
مقصلة

رؤيا مايا كوفسكي

مايا كوفسكي تراءى لقلبي في يقظةِ الحلم...
كانت تتوجهُ شهوةً الأغنياتِ
الشقيةِ بالترجسِ الغامضِ اللونِ والروح...
كانَ يئنُّ كقطعةِ ماسٍ، ومنظرًا فوقَ ثلجِ سيبيريا
ويحلمُ بالصيفِ والعطرِ والغيمِ والنجمِ
في سقفِ زنزانةٍ تشبهُ القبرَ أكثرَ من أيِّ شيءٍ
وكانَ صدىِ الذاهبينَ إلى السينما
جرسَ القلبِ في ليلهِ الخاصِّ...
يجعلهُ زهرةً من دماءِ الجليدِ
وأنا التي رجعتُ القلبُ من صوتها
سالمًا... ضاعَ في موتها
من جديدًا...!



هنالك حبُّ

هنالك حبُّ فقيرٌ ويمشي على قدمينِ
حريريتينِ / مُكللتينِ
بغيمِ الزوابعِ ضائعتينِ
على ساحلِ أبيضِ الحلمِ لا ينتهي
نائمٌ في رسوماتِ قانِ غوخِ
حبُّ نظيفُ الخطى والفؤادِ، نظيفُ اليدينِ

هنالك حبُّ صغيرٌ سعيدٌ بلونِ اليمامِ
الذي يغسلُ الدمَّ عن وجهِ قانا
بأجنحةِ النورِ يغسلُ عن قلبِ قانا الظلامَ

هنالك حبُّ كبيرٌ يغني لفاطمةَ القرشيَّةِ
تحتَ السياطِ وفوقَ لظى عمرو بنِ هشامِ
ويسعى على قلبه
فوقِ حبلِ الدموعِ إلى ربِّه
هنالك حبُّ فقيرٌ هنالك حبُّ صغيرٌ...!

وجهك خلفيتي في القصائد

سأكتبُ بالدمِّ حبَّكِ فوقَ البُحيراتِ
وجهكِ خلفيتي في القصائدِ، خلفيتي في فضاءِ
يُمسِدُ ظلي بعطرِ الأساطيرِ
تَهطلُ من قلبكِ المستجيبِ لرائحةِ البحرِ
في طرفِ الأرضِ
والمستجيبِ لموجِ العصافيرِ في أوَّلِ الرّوحِ...
وجهكِ خلفيتي عندما أكتبُ الشعرَ يوماً
على ماءِ قلبي
وحرّيتي
إذْ أربّي
دموعَ النّوارسِ في معصميكِ... لتولدَ برّيتي منكِ...
وجهكِ خلفيتي
سأكتبُ بالقبْلِ السائلاتِ على حنطةِ الظهرِ حبَّكِ
أو بيباضِ الغيومِ على خصرِكِ الإستوائيِّ.. أرسمُ
أجنحةَ الأكاليتوسَ وهي تثرثرُ ما ضاعَ منا
وما ذابَ من حُبنا في ثلوجِ الشمالِ...
صوتُ خصرِكِ يُغمدني في المُحالِ.

ولا أنا عاشقُ حرّيتي

منذُ عشرينَ عاما وأكثرَ تقتلني أمّتي

بسيّفي المكسّرِ تقتلني...

ثمّ تصلبُ لي بسمتي

فوقَ وجهي وتلصقها بالمساحيقِ

أسألني لم تقتلني؟؟

لستُ أيّ رسولٍ إليها ولا أنا عاشقُ حرّيتي

لتمرّرَ أملها كلّ يومٍ على عنقي مثل أمّ رؤومٍ

تقبّلني مثل قطّتها شهرزادَ

ولكنها في نهايةِ رغبتها الموحشة

وقبلَ انهمارِ الضّحى في دمي

قبلَ تزيينِ أقمارها لسماءِ فمي

تشحذُ السيفَ لي أمّتي

بأظافرِها... وتمدّدني دونما رحمةٍ

ثمّ تقتلني... ثمّ تقتلني...



هكذا حدثني صديقي

حدثني صديقي مرةً عن عمره الضائع
وراء ابتسامات النساء
عن جحيمه الخاص الجميل
عن انكساراته وانتصاراته الغابرة
وبلهجة خمسيني أرهقته الأمانى الكبيرة
حدثني عن الحجر الضخم
المرعب الذي نزل من السماء
كأنه لعنة تتدحرج نارها
وطارد ظهره في كل أزقة الدنيا وساحاتها
وبراريها وبحارها... وسهولها وغرفها
وحاناتها وشوارعها... ومدنها وقراها...
ليستقر أخيراً فيه
فقط حجرٌ ملعونٌ واحدٌ طالهُ من السماء
في زمن أمطرت فيه السماء
ذهباً وفضةً وكنوزاً ودولارات.
كنت أضحك من حديثه بوجع ظاهر على وجهي
كنت أغتصب فرحي المزيف لأحامله
واكبج جماح أحزانه
بينما سماء استوائية حضراء وضائعة مثلي
كانت تبكي وتشهق داخلي

لي ولها

كلُّ ما تتمخَّضُ عنه القواميسُ لي ولها
كلُّ ما تتمخَّضُ عنه النفوسُ التي احترقتُ مرةً
في فضاءِ البنفسجِ وهيَ تزِينُ صلصالها
بأغاني النجوم...

الحياةُ التي أفحمتُ شاعري بالفراغِ البريءِ
وما تتمخَّضُ عنه المزاميرُ لي ولها
لي جنونُ أبي الطيّبِ المتنبّي
وخرسانُ سلمِ بن عمرو
وموتُ امرئِ القيسِ
من غيرِ معنى يؤكِّدُ ماهيةَ الرملِ والشعرِ
أمّا لها

فالنهارُ الذي يسكُّبُ الآنَ فوقَ جفافِ الكلامِ جدائلها
والحمامُ الخفيُّ الذي يتساقطُ كالدمعِ من ناطحاتِ السحابِ
لها قسوةُ الأمنياتِ وكلُّ احتضارِ الضبابِ.

لن أبوح بسرّكما

آه يا صاحبيّ احملايني على وردة الغيم
مثلَ الشهيد الأخيرِ ادفنا في سرّكما
وأعدّا رذاذاً خفيفاً يليقُ بأحلامِ قيصرَ أو ذي القروحِ

آه يا صاحبيّ أعدّا لباسا لنهركما
المتفتّح في جسمِ فاطمَ مثل شهيقِ الجروحِ

شبقُ في دمي مذ خلقتُ يصيحُ
احتفاءً بأشياءها...

آه يا صاحبيّ انزعا خضرةَ الحبِّ
عني وعنّها لكي تتنفّسَ أسماكه في الفضاءِ
الحبيبِ على دمنا

لن أبوح بسرّكما / لن أبوح بسرّكما
المتشبّثِ مثل المزاميرِ بي لن أبوحِ

تملاً الكائناتُ سماءَ كلامي
وتختضُّ في الريحِ شمسي
وتنهضُ من نومِ روحي روحِ

أنتما الآخران الجميلان لي.. وأنا الشاعرُ الجاهليُّ
حيثُ ألفُ معلقةٌ سأخطُّ لها...

تحملاي... وفوق الصليب أمُّ نجومِ الدُّجى
في الظهيرةِ عن ثوبِ فاطم...
أنثرها في العيونِ لتزهرَ مثلَ دموعِ المسيحِ

وكلَّ شتاءٍ وصيفٍ كما يتسلَّقني شجرُ الياسمينِ
تعرَّشُ أعراقُ قلبي كَأغصانِ لبلابٍ
في شرفاتِ الحنينِ الأخيرِ
على ما اختفى من شراعٍ لأعضائها
ثمَّ أقبلَ ملءَ رؤاِي وملءَ دمائي يلوخُ

أنتما أنا يا صاحبيَّ
دمي وقصيدي تفرِّقُ بينكما / وأنا أنتما...
في المساءِ البعيدِ سأمشي على طرقِ الرومِ وحدي
وأرجعُ من جهةِ البحرِ... ممَّا تقولُ الرسائلُ
أحملُ أعضاءَ جسمِ غلامٍ تفتحُ عن زهرةِ الشعرِ
مثلَ الملاكِ الذبيحِ
أنتما أنا حتى انطفاءِ مجرّاتِ آلامنا
والوصولِ إلى سُدرَةِ المستحيلِ

أنتما أنا حيًّا وميتًا تشاغبُ زهوي سيوفُ الملوكِ
وتصنعني وردةً / نورسًا / قبلَةً / شجرًا غائمًا / دمعَةً /
بسمَةً من صفيحٍ.

في لحظة ما

في لحظة ما خارج الزمن التقيتُ به على حدة
أعودُ إليه من حمى الجحيم اللازورديّ الزهورِ
ومن قراءةِ بوللو كويلو.

أعودُ من السماءِ إليه
كان فؤاده يبكي بدمعٍ غير مرئيٍّ ومرئيٍّ
على أعتابِ مجدِ الله
كان كأنه معنى مجازيٍّ بلا لفظ يجسده...
وطيفٌ غامضٌ ينحلُّ في أوج انكساراتي...
ويغرقُ في انحلالِ الصمتِ في عينين ذابلتين
يغرقُ في رسائله الأخيرةِ عن دمِ الأنوسِ
عن ماهيةِ الإحساسِ
أقصدُ لستُ أقصدُ ما أقولُ
فؤاده لا قلبه يبكي على...
المتشاعرينَ يزوجون غيابنا للمفرداتِ
أقولُ في سرِّي هناك وراءَ هذا اللازورديّ العميقِ
سألْتُني بهوأي ذاتٍ ضحىً وأصنعُ من دمي
أسطورةً شخصيةً كالكيميائيِّ اللعين...
هناك بوصلتي التي احترقتُ
بلونِ الحبرِ وهي تشيرُ نحوك
آه حيثُ هناك

لا بشرًا زنادقةً ولا أنصافَ قديسينَ
لا بشرًا ملائكةً ولا أرباعَ فرّيسينَ
روحي شعلهُ زرقاءُ تبحتُ خارجَ الرؤيا عن اللاشيءِ
عن معنى انتحارِ الضوءِ داخلها
تحدّثُ نفسها عن نفسها
عني وعن عينينِ من هبٍ
ومن حلمٍ خريفيٍّ بأندلسٍ
وعن نُهرينِ من ذهبٍ وغمغمةٍ
أريدكِ هكذا
قمرًا بلا ريحٍ تسمرةً على صدري
وشالًا لا اختزالِ الوردِ والنعناع...
ليلاً عاريًا في القلبِ يجرحني...
أريدكِ هكذا أبداً مسيحًا لا يموتُ



سماؤك تسكنني

سماؤك تسكنني والنجومُ الخفيضةُ والكهرمانُ
الليالي التي احترقتُ وهي زرقاءُ فضيَّةُ
كشموعِ القصاصِ
نُهرٌ يمرُّ غريباً كوجهي
الحدائقُ يصعدُ منها الندى
وهو يلهثُ نحوَ دمي
كُلُّ عصرِ الخرافاتِ يسكنني...
ويحوّلُ بحرَ سمائي إلى كِسْرٍ...
ودمائي... إلى قمرٍ...
شاردٍ...

بالأغملينِ أغمضي روعي

بالأغملينِ أغمضي روعي كزنبقةٍ
تمتدُّ كالقلبِ مفتوحاً على التيهِ
أو أيقظي صوتها من قاعِ رغبتها
ترتدُّ مثلَ المنى في ثغرِ معتوهِ
كتبتُ عنكِ لأنَّ الحسنَ فيكِ روى
تفيضُ عن جانبي قلبي وتصليه
كتبتُ كي ألمسَ المعنى الذي انفتحتُ

عنه، كنهـر فراشات، معانيه...
هل كنتُ فيه سوى نرسيـس يركضُ في
فضاء عينيـك، أو لا... لم أكن فيه؟

إلى ناظم حكمت

(حاضرًا في الغياب)

دموعك لا أعينُ السجناء
بحومُ السماء
دموعك لا أعينُ السجناء
تضيءُ الليالي التي امتلأتْ بالليالي.
دموعك لا أعينُ السجناء
قناديلُ ليلِ الشتاء
على سجنِ بورصة
كلُّ أيادي النساء
غصونٌ لجذعك تلثمهُ ثم ترشحه بالطيوب
وكلُّ قلوبِ البشر
هالةٌ حولَ قلبك تحرسهُ أيهدا القمر
دموعك لا أعينُ السجناء
حنينُ سماءٍ يسمّى... مطرٌ

الحياة ذئبة

ربّما لن تجدُ
بعدَ مرّ السنينِ وحنظلها المتطوّرِ لا حلوَ قولٍ بفيكٍ
لغراءَ فرعاءٍ مصقولةِ الجسمِ كاللازوردُ
ربّما بعدَ كلِّ انكساراتك العاطفيّةِ لن تتحدّى أحدَ
ربّما لن تجدُ
لا دموعاً لتذرفها في الطريقِ إلى وهمِ غدٍ
ربّما بعدَ خمسِ قصائدٍ أخرى وسبعِ نساءٍ وحبٍّ عنيفٍ
ستتركُ روحكَ ترعى المزاميرَ والقصصَ النبويّةَ
تستلها من صباحِ الأحدِ
ربّما لن تقبّلَ وجنة حيفا لأكثرَ من ساعتينِ مطوّقتينِ
بطوقِ الحمامةِ، نائمتينِ بحضنِ الأبدِ
ربّما في فضاءٍ خطاها تحثُّ الرؤى اليانعاتِ
تحلُّ عُراها ليفلتَ فينيقها في أعالي النداءِ
وتمسحَ خدّ المساءِ الشهيّ البهيّ بجَدِّ
أنتَ لن تجعلَ الشوكَ ورداً نبيلَ الشذى
في الطريقِ إلى نارها، لن يصيرَ الحريرُ
المنعمُ مشنقةً من مسدِّ
ربّما بعدَ غدٍ / ربّما بعدَ غدٍ
للخسارةِ وجهانِ فيكٍ
خفيٌّ أناكُ وظاهرُك الآخرُ
للخسارةِ وجهانِ يلتقيانِ

لظبي يعانقه طائرُ
وقلبٌ وحيدٌ لذئبة هذي الحياةِ
التي أوغلت في الجنونِ
فهل بعدُ من حكمةٍ أن تكونَ
وأن لا تكونَ
أنتَ برقٌ خبا في ظلالِ العيونِ
أنتَ لا شيءَ لا شيءَ يا أيُّها المبتلى
بشعاعِ الحقيقةِ والمبتلى بنصاعةِ أشعاره
في زمانِ الرَمَدِ
ستمارسُ شهواتها الروحُ بعدَ انطفاءِ الجسدِ



هكذا قال لي الرأسمالي

قال لي وهو في الوهم مستغرق: أنتَ في حلمك اللولبي السعيد تدورُ بلا هدفٍ حولَ معنك من غيرِ ما سببٍ واضحٍ، تنهجي رؤاك بواديك وحدك أو تحتلي من غموض الحياة الخيوط التي علقتك كأيقونة في العراء... وفكرٌ بعقلك يا أيها الفوضوي النبيل وليس بقلبك إن شئت...

إنَّ الكلامَ دخانُ الخطيئة يصعدُ من لهفة الشعراء كان صمتي يحاوره في المساء وانكساري على ما تبقى من الظل في زهرة الكستناء... فكرة في الهواء سدّمية عصرت قلبه بمعاني الضباب ودون انتباه لما فاض من حلمي من طيور سماوية قال لي: هكذا عندما تفرغ الأغنيات الشقية منك ويفرغ منها دمك

ستعب الحياة بما ملكت راحتك الحياة حين الصعاليك مثلك للأغنيات ويستخر من نفسه...

كنت أشربُ أحزانه وأقولُ له: إنني لست غير النداء الذي يتدفق من قلبه الخاص أو إنني نبع ضوء وحب

لما سوف يأتي
هوياً في مهبّ المصبّ الأخير...
هنا تبدأ الطيران الخفيّ
فراشاتٍ ماركيزَ في أسفلِ الحلمِ
أعلى وأعلى من الواقعِ الساحريّ
أو المنطقِ الشعريّ
هنا الرأسماليّ يسخرُ من يأسه
ويمرُّ مروراً خفيفاً على موتٍ معناه أو موته المعنويّ
أنا لا شيء في عينه، وهو لا شيء في نظري
هو للأرضِ مرجعُهُ وأنا مرجعي للسماءِ
بينَ فتّي والألاءِ معدنه
ألفُ دربٍ معطرّةٍ بالندى وخطى الأنبياءِ
ألفُ دربٍ سيغفو عليها بلا ندمٍ موجهٍ تعبُ الفقراءِ
ولكنه قال لي مثل جدته أنطوانيتُ
في النهايةِ أو عندما لدغته المرارةُ في روحه:
استعضّ عن فتاتِ القصيدةِ إن لم تجدهُ لعيشك بالسكويتِ
ولا لا تجددُ لنفسك صلصالها، لا تعذبها بالسرابِ
وهي تركضُ خلفَ بياتريسَ
يا أيها المتوحّدُ /
والمتعدّدُ ملءَ مراياك
تحيا وحيداً برؤياك
حتى على دينِ دانتي تموت...!

رؤيا في سدوم

كَانَ عَلَى نَاصِيَةِ الحَلْمِ يناديني
وَكَنتُ مُتَعَبًا أُبْحَثُ عَنْ سَمَاءٍ
كَانَ يُؤَاخِي صَمْتَهُ المُنْقَوِعَ بِالنَّارِ
وَيَرْفُو غَصَّةَ الهَوَاءِ بِالأشجارِ والنَّسَاءِ

كَانَ...

وَكَنتُ مُتَعَبًا أُبْحَثُ فِي الجَحِيمِ
عَنْ فَرَاشَةٍ مِنْ مَاءٍ

انظُرْ يَا بِيَاترِسُ

يَا إِيرِسُ

يَا... تَسَاقَطِي عَطْرًا سَمَويًّا عَلَى نَارِي... بَلَا انْتِهَاءً

أَنْظُرُ مِنْ هَاوِيَةِ الجَحِيمِ لِلعِشَاقِ فِي الجَنَّةِ...
لِلبَحْرِ اِحْتِمَالٌ وَاحِدٌ فِي قَلْبِي المَسْحُوقِ كَالرَّيْحِ
أَعْضُ... آه كَالذُّبِّ ظَلَامِ السَّجْنِ وَالقَضْبَانِ
لَا أَفْسَرُ الحَيَاةَ بِالمَرَأَةِ / هَا هُنَا أُمُّ جَسَدِي / مِنْ عَالَمِ المَحَارِ
أَوْ أَوْزَعُ الرُّوحَ عَلَى الأشجارِ
أَوْ أَسْقَطُ مَاخُودًا أَمَامَ اللَّهِ وَالمَحَلَّجِ يَبْكِي فِي...
لَا أَفْسَرُ الحَيَاةَ بِالمَرَأَةِ لَا أَفْسَرُ الحَيَاةَ

أَنْظَرُ مِنْ نَافِذَةِ الْجَحِيمِ لِلْعِشَاقِ فِي الْجَنَّةِ
مَسْحُوقًا بِنَعْلِ حِكْمَةِ الْحَيَاةِ
فِي مَا هُمْ يَمَارِسُونَ فَعَلَ الْحُبُّ فِي أَسْرَةِ الْغَيْمِ...
وَيَغْسِلُونَ آلَافَ الْمَرَايَا بِلِهَاتِ الْأَزْرَقِ النَّارِيِّ
فِي جَسْمِي الَّذِي تَجْرَفُهُ شَهْوَتُهُمْ / أَشْيَاؤُهُمْ
مِثْلَ رِمَادِ الْبَحْرِ نَحْوَ شَاطِئِ الْعَنْقَاءِ
كَتُّ عِبْدَهُمْ أَشْمُ مَوْتِهِمْ فَلَا أَهْرَبُ مِنْ فِرْعَوْنَ
نَحْوَ الْبَحْرِ وَالنَّارِ...
أَنَا عَلَى حَرِيرِ الْأَرْضِ كَالْفِرَاشَةِ الْعَمِيَاءِ
عَنْكَوْتُهُمْ يَا كَلْبِي...
بَلَا رُؤْيَ أَصْرُخُ لَا تَسْمَعُنِي الضُّوْضَاءُ

سَدُومُ يَا حَبِيبِي تَنِينُ
يَأْكُلُ قَلْبَ الطَّائِرِ الْإِنْسِيِّ

....

نَغْسَلُ بِالْذَمِّ أَقْدَامَكَ
نَسْتَجِدُّ بِالْمَلَاكِ، وَالْمَلَاكُ فِيهَا مِثْلُنَا حَزِينُ
يَغْمِضُ عَيْنَيْهِ عَلَى دَوَامَةِ النَّارِ
فَيَنْتَشِلُهُ مِنْهَا حَفِيفُ الْكَائِنِ الشَّعْرِيِّ

— حَبِيبِي اغْتَصَبَهَا الرَّعَاغُ وَالْمَرْتَزِقَةُ
كَتُّ مَتَوَجِّحًا بِجَبِّهَا...

وخفق قلبها
يسبح كالعصفور في روعي محمولاً على رذاذ زنبقة
كان دمي ينظر محمولاً على رذاذ مشنقة

/ روعي على غيمة
قلي على الأسفلت
يتعلم الحكمة
من خنجر الفاشست
أو يطلب الرحمة
من سادن الهلوكست
يا قلب ذق مما
لن أطلب الرحمة
لن أطلب الرحمة
من سادن الهلوكست /!..

ربيع عام 2205



أشجارُ تعانقُ حبَّكَ الأعلى

شرفاتُ بحركٍ تفتحُ المعنى على التأويلِ يا عكّا
وتنصتُ للتباريحِ التي تأتي كخفقةِ طائرٍ
من غيرِ ما جهةٍ ولا لغةٍ
وترجئي إلى قمرٍ إباحيٍّ يجيدُ البوحَ
في مُدنٍ من التخيلِ تحملُ عرشَ خُسْراني
فأخرجُ من زماني نطفةً للبرقِ تصنعني اشتهااتي
على مرأى يديك تعيدُني محوًا لقلبك
وهو ينبضُ بي يرشُ دمي على وردِ سماويٍّ فيُطلعي...
وأمشي في الشوارعِ أو أغوصُ بعطركِ الصلبِ الخفيِّ
ونرجسِ الشُّبهاتِ...
حتى القاعِ يا عكّا تَقَمَّصَني هواؤكِ
في النداءاتِ الغريبةِ عن فضائكِ
والشتاءاتِ التي ما أزهرتِ إلا بمائكِ
أو بعيني ربةً بحرّيةٍ تتسلقانِ العوسجَ المحفوفَ
في روعي بوجهك...
آه يا عكّا... ووجهك ذلك المتفلتُ الأبديُّ
من ناياتِ هوميرو... الحنينُ الأبيضُ الجسديُّ
للأشياءِ وهو يمرُّ محمولاً على نهرٍ من القبلاتِ موسيقى
تُرى بالقلبِ لا بالعينِ عارية... ولاذعةً
وراقصةً على مطري...
الأنينُ اللازوردِيُّ الخفيُّ ينأمُ ممسوحًا بدمعِ الأفيحوانِ

بدمي أقبلُ خطوك المائيَّ مثلَ حمامةٍ هبَّتْ على
ألقِ المآذنِ كي تُرصَّعَهُ بذاكرةِ المكانِ
كأيِّ نورسةٍ إلى حبقِ الحياةِ تطيرُ
تشربُ حزنٌ عينيها، هنا الأجراسُ في قمرٍ خريفيٍّ
وفي سحرٍ ربيعيٍّ يعانقُ لهفتي قبل الأوانِ

ستفيضُ عن شعري الزنابقُ منك يا طرودتي الأحلى
وتغرقُ هذه الأسوارَ بالتَّعْناعِ والدُّفلى...
ستصعدُ من دماءِ العشقِ أشجارٌ تعانقُ حبَّكَ الأعلى
الذي يجري كأهبارٍ على طرفِ الزَّمانِ...
وأقولُ كم راوغتُ سحرَكَ فيك
راودتُ الأنوثةَ عنك كي تتفتَّحَ الأزهارُ
من فمكِ الشهيِّ وتنهضَ الجغرافيا
بطيورِ غيمكِ والخيولِ ترفُّ في قدميكِ
فوقَ البحرِ تحمليني إلى ما لستُ أدري
من جنوبٍ أو شمالٍ،
أو يُخاتلني الضبابيُّ البعيدُ
كأنه عينك
والرؤيا تضيءُ دمي فلا أمضي إليكِ
ولا أعودُ...!

تموز 2007

عينا إلسا / عينا بودلير

/ كانت تنظر بعيني إلسا
وأنا بعيني بودلير /
تترين أرضي بها كالبحيرات تلبسُ خلخالها...
ناقصٌ عطرها الرخصُ في لغتي،
ناقصٌ حبُّها في دمِ الورد حين تُنيرُ الحدائقُ قلبي
وتُشعلُ في الروح صلصالها
بينَ نظرةِ إلسا ونظرةِ بودليرِ دوامةِ الحاسّةِ السادسةِ
وأصابعُ للريحِ فضيَّةٌ تقطفُ الدمعَ واللازوردَ
عن الأعينِ الناعسةِ
وإلسا تدقُّ القلوبَ بأقدامها الذهبيَّةِ،
تسحبها من حريرِ النعاسِ
وتعدو بها في دروبٍ مُحدبةِ النارِ فوقَ الحصى...
أينَ عيناكِ بودليرُ من قمرِ نائمٍ في حليبِ القطيفةِ... ؟
أو أينَ عيناكِ ممَّا يضيءُ النعاسَ الحزينَ بنظرِتها
الليلكيَّةِ حتى يُبرِّتَكَ الذئبُ من دمِ يوسف... ؟
يزرعني باللهيبِ المقدّسِ شعركَ
وهيَ بنظرِتها الليلكيَّةِ تزرعني بأغاني السماءِ
وإلسا ترتبُ أشواقها لتُعدَّ الصباحَ، على طبقٍ
من حمامِ يديها الحليبتينِ،
الصباحَ الوحيدَ كذئبِ السهوبِ
لتشربَ ما غاصَ في من الشعرِ بالنظراتِ

وَتُشْعَلُ كُلُّ مَجُورِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ
فِي أَوَّلِ الصَّيْفِ بِالْبَسْمَاتِ
سُتْرَتُ أَشْوَاقِهَا وَتَمُرُّ بِقَهْوَتِهَا النَّاصِعَةَ
عَلَى شُرَفَاتِ ضِيَاعِ الْقَصِيدَةِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ
كُلُّ شَيْءٍ يُحْمَلُ بِي
مَاؤُهَا الْأَرْجَوَانِي
رَائِحَةُ الضَّحِكَةِ الْأَنْثَوِيَّةِ مَلَأَ الصَّبَاحِ
الْفِرَاشَةَ فِي شَعْرِهَا...
صَوْتُ إِلسَا يَعَانِقُ صَمْتَ يَدَيَّ
وَأَرْضَ الْمَزَامِيرِ وَالْجَامِعَةِ...
تَتَرَيْنِ أَشْيَاءَ الْأَنْثَوِيَّةِ بِي
وَأَنَا أَتَرَيْنِ بِالنَّرْجَسِ الْمُخْتَصِرِ....!



انسللتُ كآخر الأزهار

من سفرِ عطرِ البرتقالِ
مررتُ من نارٍ معلقةٍ على قلبي
مررتُ من القصائدِ ذاتها
ومن الشمسِ صرختُ من أبديةٍ
الأحزانِ في عينيكِ... يملأني اشتهاؤُ الرِّيحِ
أين يكونُ عدلكِ يا ييوسُ؟ /
هنا على زهرِ السياجِ ظهرتُ في ثوبي
انسللتُ كآخرِ الأزهارِ...
خلفَ القلبِ نافذةً من النعناعِ خلفَ مروجِ نارٍ
ما غيرَ سيِّدةٍ هناكِ يشعُّ منها دمعا
قمرًا ينامُ على المدينةِ
ذابتُ أصابعها على حجرٍ
لتأخذَ شكلَ نوريةٍ حزينةٍ
غنَّتْ بلا معنى... وأتعبها الحنينُ سدى
فنامت في السكينةِ

سأصغي لعينين

سأصغي لعينين في ذات يوم
لعلّي أراودُ نفسيَ عما تقولُ الحياهُ
سأصغي بقلبي لعينين مثلَ رفيفِ الأغاني...
كزنبقة من دمي في الشفاهُ
سأصغي لما بعدَ يومينِ منها
وأشربُ أنغامها المشتهاةُ
مثل صحراءِ ذابلةٍ في لساني
تريدُ / المياةَ / المياةَ / المياةَ
وبعد انخلالِ الوجودِ سأصغي
لروحي التي اندثرتُ تحت عرشِ الإلهِ
مثل نعمةٍ آه.

أتنسمُ رائحةَ النسيانِ

ما يربطُ قلبي بالوجهِ اللا مرئيِّ الفتانِ
النافرِ أبداً لسماةِ الوردِ في روحِ الشاعرِ؟
ما يربطُ قلبي بالأشواقِ المزهرةِ؟
بعيني من أحببتُ؟ بموسيقى الأشياءِ؟
أتنسمُ رائحةَ النسيانِ كما تنسمُ ضحكُها
رائحةَ الينبوعِ المولودِ حديثاً من رحمِ الأبديةِ

ما يربطُ رُوحِي بالشلالِ النازفِ من رحمِ الأزهارِ؟
يغسلني من كُلِّ غبارِ الصحراءِ العربيّةِ... بالأشعارِ

سيرك

في عالمنا العربي مهرجون بالفطرة،
وسحرةٌ ماهرون يعملون ليلاً ونهاراً
ولا يستريحون دقيقةً واحدةً
يخفون دموعهم في قبّعاتٍ طويلةٍ كقبّعة العمّ سام
ويضحكون على ذقون أشباه الرجال
يُطبلون ويغنون ويرقصون
على جثث الضحايا الحزينة،
حولوا الوطن الممتدّاً
من الخليج إلى المحيط مثل آهٍ كبيرةٍ
إلى سيركٍ تافهٍ ورخيص
وحولونا نحنُ إلى متفرّجين موتى...!

يونيو 2007



وحدي مثقل برنينها

شجرٌ وراءَ غموضها الشَّفافِ في المقهى
وقلبي نجمةٌ أُخرى معلقةٌ على الأغصانِ
لا مطرٌ يوافيني بما ترثُ الأنوثةُ من بهاءِ
ناصحِ التكوينِ
أحلمُ بانكساري مثل نهرِ الضوءِ موسيقى يرفُّ...
كحفنةٍ بيضاءٍ من عدمٍ
ومن ندمٍ
يهددني لكي يغفو أنايَ هناكَ في قمرٍ حليبيٍّ
يطلُّ على الطريقِ العامِ
وحدي مثقلٌ برنينها الشَّفافِ
وردي مُشعلٌ بدمٍ على الصفصافِ
تنقرُ فكرةٌ قلبي عن الدنيا
وعن جدليةِ الشعرِ/الحياةِ/الحلمِ...
عن كُلِّ افتراضيٍّ لكي أغدو جديرًا
أن امرئٌ على غدي
بخطى فراشاتٍ/ وأجنحةِ
ملوثةٍ/ كوردٍ غامضٍ يعلو/
غزالاتٍ/ حنينًا موجعًا /
ويدي
صهيلُ الموجِ في بلورٍ فينيقيةٍ
بدمِ الشَّموسِ وطعمها

امتزجتْ بِخَمْرَةِ أَوْرْفِيوسَ
وراودتْ عن نفسها الأزهارَ في جسدي...
ويزحفُ ماؤها ليمسني الطوفانُ
ثمَّ أفيقُ من صُحوي
وينظرُ خوفُها نحوي
ودهشُّتها رفيفُ حمامةٍ بيضاءَ
في عينيْنِ ضائعتينِ
أمشي بضعَ خطواتٍ لأدخلَ ظلَّ أركاديا
وأغرقَ في الفراغِ...!
ما كان يفصلها عن الماضي
سوى نهرٍ من الأزهارِ
يفصلُ نفسَها عن نفسها
ما كان يفصلني عن المستقبلِ المنظورِ
غيرُ غواييتي بنجومها وحنينها المسموعِ
غيرُ هواييتي بسدومَ تشربُ ملحها عينايا
وهو يهبُ من أعلى الحجرِ...
مثل سربِ الطيرِ
أو غيرِ المسافةِ لا تُوحِدنا معا.....!

ايار 2007

قصائد إلى راسد حميس

(1)

حبها أجدية

حبها أجديةُ وردٍ وضوءٍ

وعطرٍ وأقواسٍ طيرِ الحمامِ

وزهرِ دمِ العاشقاتِ / القديماتِ

يملاً بالأرجوانِ المُشعِّ بياضَ الرُّحامِ

حبها منذ سبعةِ آلافِ عامٍ

أجديةٌ رُوحِي هنا في حضورِ أنوثتها

وغيابِ حواسي البريئةِ في وجهِ طفلٍ ينامِ.

(2)

أَنْسَنَةُ الْحُبِّ وَالْمُسْتَحِيلُ

للحياةِ سؤالانِ في قلبه
عندما يقرأ الوقتَ من غير ما امرأةٍ
تتبنّى قناديلهُ مثلما تتبنّى طيورَ انتحاباتهِ
في الصباحِ لأنسنةِ الحبِّ والمستحيلِ
في اعتناقِ الجليلِ

بأشياءها في العناقِ الأخيرِ هناك...
بلا روحها في مرايا العذابِ الجميلِ

للحياةِ سؤالانِ في قلبها
عندما تقرأ الصّمتَ في سرّها
مثل نورسةٍ هدّها شغبُ البحرِ
أو مثل نرجسةٍ للحنينِ المباعثِ
تملاً عينيه منها بوردٍ ثقيلٍ ثقيلٍ
للحياةِ كلا الآخرينِ
وما شفّ روحيهما من بياضٍ جميلٍ قليلٍ
في عناقٍ طويلٍ طويلٍ.

(3)

صوتُهُ الداخليُّ

لم أشأ أن أفوهَ بينتِ شفهُ
عندما كانَ يجلسُ في حضرتي...
كانَ معنى الحياةِ صِفَهُ
لعينيه حينَ تمرَّانِ فوقَ دمي كالبحارِ الغريبةِ
تحملُ إغماءةَ الأرضِ صِفَهُ
كالنوارسِ تحملُ نظرتهِ للبعيدِ
كما تحملُ العاصِفَهُ
شعوري الى زمنٍ سابقٍ
لم أشأ أن أبوحَ بينتِ شفهُ
كنتُ أصغي إلى صوتهِ الداخليِّ...

(4)

قصيدة راشد حسين الأخيرة

نيويورك نائمةٌ في سريري
على غيمةٍ من دخانِ السجائرِ
تعدلُ كلُّ كؤوسِ النواصيِّ يرحمهُ اللهُ...
لا وقتَ لي فالحياةُ هلاميةٌ
والفراشاتُ في ناطحاتِ السحابِ حديديةٌ
تذبحُ القلبَ مثلَ عيونِ ميدوزا... تُحجرهُ

أغلقني البابَ يا من تُسمِّيكَ عيناي
سُدِّي نوافذَ روحي / افتحي شهوةَ الغازِ كي أتنفسَ موتي
وعطرَ حدائقِ مصمص... كي أصدقَ الآنَ من قاعِ رؤيائي
من طهرِ فوضايَ / روحي هُوِيَّةٌ منفايَ
تسقطُ في حضرةِ اللهِ كالكلمةِ
لتبكي البراءةَ والشعرَ والحُبَّ في عصرِ سخريةِ العولمةِ
نيويورك تملأني بالفراغِ الملونِ
مثل كؤوسِ النبيذِ الرَّخيصِ
الضياغُ يجسِّدُ معنايَ / ماذا أسميكَ أفعايَ
راحيلُ؟ مريامُ؟ ياعيلُ؟ سيفانُ؟
كُلُّ القصائدِ لولا غموضِ الشتاءِ
بديهيةٌ كالنساءِ أو العكس...
في أيِّ ليلٍ مُضيءٍ بعينيكِ؟
في أيِّ قافيةٍ سأخبيُّ روحي إذا ما عراني
لصوصُ الحقيقةِ؟ أو أطلقوا النارَ صوبَ طيورِ خطايَ
الأخيرةِ تعبرُ شطَّ الأبدِ
أنا أنتَ أنا... وأنا لا أحدُ
أنا اثنانِ في واحدٍ وأنا كبشُ روما الجديدةِ
جلجامشُ الحُبِّ في زمنِ الكوليرا
وأنا وطنٌ في جسدي

(5)

سيدي راشد / المعمدان

رجعٌ روحي امتدادٌ لأصواتِ روحك
دمعٌ لنهري يتممٌ ما فاضَ من وجعِ أبيضِ اللونِ
ملءَ متاهاتِ بحركٍ...

كلُّ النساءِ اللواتي قطفتَ غواياتهنَّ
كما تقطفُ الأفحوانَ عن الشجرِ القمريِّ القديمِ
قصصنَ لي الشَّعرَ عند المنامِ
وأحرقنَ حتى دفاترَ شِعركِ

أما أنا / فإذا قتلتني سالومي غدا
فسأمشي بروحي على لهفةِ النيلِ وقتَ العشاءِ
ستغفو رؤايَ على نهرِ هدسُنَ
روحي هناكِ وجسمي هنا...
سأتمتُّ دونِ فمِ حينها
سيدي... سيدي... سيدي
آه... يا سيدي المعمدان...!

شباط 2007

فضاء سريالي على حافة القلب

يسيلُ خلالَ ثُقوبِ السَّمَاوَاتِ وَجْهِي وَيَسْخَرُ مِنِّي
يسيلُ كَأَنْفَاسِ نَهْرٍ يَذُوبُ عَلَى حَافَةِ امْرَأَةٍ عَانَقَتْهُ
كضوءِ مَدْمَى يَسِيلُ فَيَنْبَجِسُ الْقَلْبُ تَخْرُجُ مِنْهُ
الْفَرَاشَاتُ... حَمْرَاءَ... بِيضَاءَ... خَضْرَاءَ
يَشْتَعَلُ الدَّمُ فِي لِحْظَةٍ مِنْ هَدْوِ الْمَسَافَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَمَرِ

_ آه كم مجدها
جميل... بهي... وفستان فينيقيا
لطَّختُهُ وَحَوْلَ الْبَشْرِ
وروما تمددُ زنبقتينِ من النارِ
فوق الرمال... وعاشقُها ينتظرُ
لعينيكِ وَقَعِ الندى فوق صَوْتِي
أنا من تَقَلَّبَ أَمْسٍ عَلَى الحِنْطَةِ النرجسيةِ
يقبسُ جَمَرَ الشَّبَقِ
أنا من أَضَاعَ السَّمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ
حِينَ مَرَّتْ فَرَاشَةٌ أَيامَهُ فَاحْتَرَقَ
وقلبي تَكْوَرُ نَصْفَيْنِ
نصفاً لِمَوْجٍ مِنَ القمَحِ
يحملُ عني اشتهائي،

ونصفاً لعصفورةٍ من شفقٍ،
تطيرُ البحارَ على جانبيها إلى موعدٍ في مساء الحيقِ
على كلِّ بوّابةٍ من حنين الترانيمِ
من ذكرياتٍ تموتُ وقفتُ
على كلِّ سورٍ وزيتونةٍ من غبارٍ بلادي وقفتُ
غموضي وضوحُ الحياةِ
وضوحي غموضُ الحياةِ
وقلي سرُّ اللظى في المياهِ
آه كم عشقُها
شهيقُ كشرِّبِ دموعِ الشجرِ
...وفي حلمها
تنهضُ الروحُ من نومها
وأرى المدنَ الميتةَ
على حافة القلبِ تغرقُ...
صارَ دمي حولَ أعناقها زينةً من نثار البروقِ
أرى المدنَ العائمةَ
على سطحٍ وجهي يُحَنِّطها زنبقُ غارقٍ
في مراسيم أحزانه كالضيءِ
أيُّ صوتٍ جميلٍ يُدغدغي عند حضرتهما...؟
أيُّ سرٍّ لوقتٍ مضى وسيأتي
بعيداً عن الوقتِ والذكرياتِ
التي قلبتني على نارها زمناً لعنة الحبِّ
حتى ترمدَ قلبي وطارَ

فوق منحدرات السماء أمام الجمالِ وفوهة الصَّمتِ
يفعلُ ما يفعلُ الجناءُ
وما يفعلُ العاطلونَ عن الأملِ المتواضعِ
يصحو خفيفاً من الموتِ في فجره
ويداوي انكساراته بالعملِ
سأحبُّ الحياةَ التي قطروا ماءها في دمي
والشتاءَ المشاكسَ معنى الأنوثةِ المتردِّدَ
مثلَ النساءِ اللواتي ذهبنَ لتقدِّمِ رأسِ يوحنا
لعيبيِّ سالومي التي اغتصبتُ ضحكةَ النهرِ عند المساءِ
سأحبُّ الحياةَ ولا أستطيعُ تمثُّلَ نرجسها المُشتهى
واحتضانَ سرابِ النساءِ على ناطحاتِ الفشلِ...!

ربيع عام 2006



تقولُ القصيدةُ ما لا يُقالُ

(1)

تقولُ القصيدةُ ما لا يُقالُ
تقولُ لبودليير.. : ديفالُ جسمي
وأغصانُ روحي وسجني
وحرّيتي... فمتى سوفَ أُخرجُ
من سجنها / جسمها المطريّ
متى... سوفَ أُخرجُ منّي؟

(2)

تقولُ القصيدةُ للمتنبّي: أتبعُ برقها الأنثويّ
ولا تتبّع قلبها القرمطيّ
أتبعُ موتها المتأصلَ في شهوةِ المتمنّي

(3)

تقولُ القصيدةُ لي:
كلُّ أنثى تُسيّجها بالغيومِ ستفتضُّ رائحةَ الشعرِ
في القلبِ نظرُتها.. وتعيدُ صياغةَ أعضائنا

(4)

تقول ليانيسَ ريتسوس:
حورية البحر تخطفُ يوليسَ
فيكَ وتشرهُ في مهبِّ الزنابقِ
في شاطئِ غامضِ السّحرِ يرحلُ نحو الشمالِ
تقولُ القصيدةُ ما لا يقالُ

(5)

كان قلبي يحاورُ قلبي
على النهرِ في سرِّ دوامةٍ ويقولُ
سلامٌ لحريةِ الحُبِّ / في زمنِ الرُّعبِ
والسينما المخمليةِ / والهمجيةِ
يسألني: كيفَ تأتي القصيدةُ؟!
من لمسةِ امرأةٍ؟ أم من الغيشِ الأثويِّ
يُصوّبُ روحَ المكانِ إلى القلبِ...؟
أسألهُ...

فيجيبُ التاملُ في اللانهائيِّ عبرَ فضاءِ الشتاءِ
وخطوِ المسيحِ على زهرِ البيلسانِ

(6)

...لونُ عينيكِ زيتُ شقيِّ
على ثوبِ قلبي سرحُ
القصيدةُ تضحكُ ملءَ براءتها فيكِ... أمّا أنا

فسألتمُ خطوَ المسيحِ
وأصرخُ حينَ تقشُّرُ كالبرتقالةِ قلبي
أصابعُ من أغنياتِ الفرخِ

لونُ عينيكِ يمحرنِي هابطاً من أعالي السماءِ
إلى الأرضِ شلالَ أزهارِ حورٍ...
أحبُّ شتاءكِ من أجلِ قوسِ فرخِ
ومن أجلِ عينينِ بحريَّتينِ
تنامُ الرؤى فيهما نورسَيْنِ

(7)

حينَ تمرضُ شمسي يُطبِّبها الجُنَّانُ
حينَ تمرضُ نفسي يُراودها
شبقُ أخضرٍ في مرايا الحصارِ

(8)

أتهجِّي ينايِعها واحداً واحداً
عابراً ما وراءَ القصيدةِ كي لا تشيخُ
أتهجِّي ينايِعها عاشقاً، وأدورُ على شمسها حارساً
للبياضِ الذي سألَ من زهرِ عبّادِ شمسِ المساءِ
ليسَ لي دوفاً غيرَ دمعِ المسيحِ
أربيهِ في القلبِ ناراً
وعيناَيَ ريحَ

(9)

كأما سوطرا يعيدُ صياغتنا من جديدٍ
ويعلمنا ونعلمه الحبَّ
يا حبِّنا كائنُ الصيفِ أو عطرُ صيفٍ بعيدٍ

(10)

تقولُ القصيدةُ ما شَفَّ عن جسمك المتموجِ فيها
فلا يسمعُ القلبُ ممَّا تقولُ القصيدةُ
غيرَ صُراخِ الجمالِ
تقولُ القصيدةُ ما لا يُقالُ

خریف عام 2005



أحبك آه شفاعمرو

(إلى المدينة / المرأة)

سُيْضِيءُ بِعَيْنِي قَلْبُكَ يَا أَجْمَلَ النِّسْوَةِ الذَّاهِبَاتِ
إِلَى شَرَفَاتِ الْبِنْفَسِجِ تَحْتَ سُبُوفِ الشِّتَاءِ
سَتَسْبِحُ فِي الرِّيحِ أَتْمَارُ وَجْهَكَ، فِي اللَّيْلِ
تَحْمَلْنِي كَنْدَى الصَّيْفِ فِي زَهْرِ صُبَّارِكَ الْمَشْتَهَى
يَا حَبِيبَةَ... وَهُوَ يُضَمِّدُ جِرْحَكَ بِالْقَبْلَاتِ
أَحْبُكَ آه شَفَاعَمْرُو يَا أَطْهَرَ امْرَأَةٍ
عَانَقْتُ خَفَقَاتِ الطَّيُورِ عَلَى قَلْبِهَا...
عَانَقْتُ خَطَوَاتِي بِأَهْدَابِهَا السُّودِ
وَالْحَبُّ يُصَعَّدُ كَالدَّمْعِ لِلرُّوحِ
مَنْ رَثِي لِيُقَبَّلَ أَرْصَفَةَ الطَّرِيقَاتِ
سُيْضِيءُ بِعَيْنَيْكَ قَلْبِي وَأَشْجَارُ لَيْمُونِهِ حِينَمَا تُطْفِئِينَ
بِكَفِّكَ عَيْنِي هَوْلَا كُوْ وَشَهْوَةَ خَنْجَرِهِ الْحَجْرِيِّ
وَتَسْتَقْبِلِينَ رَيْعَ الْحَيَاةِ
أَحْبُكَ آه شَفَاعَمْرُو
وَالْحَبُّ يُصَعَّدُ كَالدَّمْعِ لِلرُّوحِ مِنْ رَثِي
لِيُقَبَّلَ أَرْصَفَةَ الطَّرِيقَاتِ
آه يَا أَجْمَلَ امْرَأَةٍ عَانَقْتَنِي
وَطَهَّرْتَ الرُّوحَ بِالْقَبْلَاتِ

2005 اب 4

لا تصفي الحياة كما هيَ

"لا شيءَ يُوجعني على بابِ القيامةِ"
باردَ الأعصابِ أنزَعُ عن دمائي
شبهةَ الوردِ الأخيرِ على حفيفِ البحرِ
أصرخُ مُشعلاً بتوحدِ القمرِ الغريبِ
عليّ...، روّيني بماءِ يفضدُ الرغباتِ من قدميكِ
ينضحُ... واغمسي أحلامَ قلبكِ في دمي العاري
ولا تصفي الحياةَ كما هيَ

لا شيءَ يُوجعها، تقولُ: هيَ الحياةُ جميلةٌ
وأنا كذلكِ لا تراودني
مرايا قلبها المشغولِ بالنارنجِ عن أحلامِ قلبي
لا تعاودني إذا ما نمتُ رؤياها...
أهيمُ كنورسٍ فوقَ البحارِ البيضِ
أبحثُ عن سماءٍ حُرّةِ
تنحلُّ في شفقٍ مُضاءِ بالحنانِ الأثويِّ
وبالتأملِ في احتراقِ أشعةِ
ثلجيةِ... ناريةِ... جسمي...

-.....أحُبُّكَ حِينَ يَنْتَصِرُ التَّارُ عَلَيَّ
حِينَ يُجْتَمِعُونَ دَمِي بِأَنِيَةِ النَّبِيدِ الْمَرِّ
قَرَبَ شَفَاهِكِ الْعُنَابِ
قَرَبَ يَدَيْكَ فِي الْحَوْ الشَّهِيِّ
وَحِينَ تَنْكَسِرِينَ فِيَّ إِلَى شَطَايَا اثْنَيْنِ مِنْ قُبُلِ
مُشَبَّعَةٍ بِرَائِحَةِ النَّدَى الصِّفِيِّ يُشْعَلُهَا الْغِيَابُ...

غامضٌ دُمُّها في دمي

آه... يكمنُ وجهٌ بأعلىِ الينابيعِ
من فضةٍ لستُ أفهمُها
من شعورِ الحريرِ الغريبِ على صُبْحها...
غامضٌ دُمُّها في دمي غامضٌ دُمُّها...
والأحاسيسُ حرّيةٌ أطلقتني بدربِ المجرّاتِ...
يصطادُني فمُها... آه... يصطادُني فمُها...
...تتنصّلُ من ذاتها إذ تراني
وتقطفُ بعضَ العصافيرِ عن أوّلِ النهرِ
كيما تُكرّرَ غصَّتْها في بياضِ الحمامِ
وتلبسَ ما شفَّ من جسدي في المعاني
تتنصّلُ من ذاتها...
وأنا أتَنصّلُ منها بما / من دمٍ لا يراني
هل أضُمُّ نوافذها في المساءِ
إلى حبقِ فارغٍ من كياني؟
هل أضُمُّ الهواءَ إلى لغتي تُمّ أفرُدُه في سرابِ الأغاني؟
..... دخانُ النباتاتِ يصعدُ من قلبها أخضراً أخضراً
من يُعرّفُ رُوحِي إلى رُوحها في الغيابِ الشفيفِ؟
ويُطلقني قمرًا لينا؟
لأرُفَرَفَ في وجهها مثلِ خوفِ الفراشاتِ
يُطلقني قمرًا... قمرًا

عندما ... عندما

لم يُصنبي رذاذُ الأنوثة بل نارُها
هكذا قال لي عابرٌ في نهارِ الكلونيا لأمسِ حبيبته...
_ صلبةً هذه الرِّيحُ من تحتنا
والطيورُ الأبايلُ أحجارُها
الهواءُ ثقيلٌ هنا / وأنا
لستُ أحملُ في القلبِ إلاّ الهواءُ
فخذُ ما يشاءُ المصابونُ بالحبِّ
خذ ما تشاءُ ودَعْ ما تشاءُ
_ أريد من الله تفاحتينِ لأبدأ تفسيرَ لغزِ الصِّباحِ
وقاموسَ حبِّ لأشرحَ معصيةَ الكلماتِ
القديمة... كيما أشقَّ البحارَ إلى
شفتينِ من الوردِ فوقَ سريرِ
يُموجُ نفسي بغيرِ حريرِ
_ عندما أتخفّفُ ممّا تقولُ الحدائقُ في آخرِ الشعرِ
أو في ضجيجِ المصانعِ والطائراتِ
عندما أتخفّفُ من لعنةِ الحبِّ
أو من زوائدِ هذا الهواءِ الحبيبِ المشبّعِ حتى النخاعِ
برائحةِ النُسوّةِ الذاهباتِ إلى زمنِ البرتقالِ
عندما يصعدُ القلبُ في موكبِ أفقيِّ الرؤى
عندما أتخلّصُ من لغةِ الوقتِ
من عبثيةِ شوقِ الحياةِ العصبيِّ على الفهمِ

سوف أدُقُّ السماءَ على من أحبُّ
سأبكي على ورقِ الحورِ...
أمشي إلى سِدرةِ المنتهى...

نيسان 2005



كأما سوطرا لترتيب أعضائنا

(قصيدة مجهولة لوضّاح اليمن)

الله أكبرُ والحبُّ / يا سيّدي القلبُ
كلُّ عيون الأفاعي التي طاردتك وكلُّ الكلابِ
التي نهشتَ ظلّها في الطريقِ إليك
رمتْ نفسَهَا فيك فاحترقتْ
وعلوتْ على أهر اللازوردُ
كلُّ ما كانَ كانَ ...
وتلك بلادُ سماويةٌ حملتْ طيرَ روحك
وهي ترفُّ الدُموعَ إلى كلِّ أرضِ سماوية
كحنين النساءِ إلى ما تقولُ القصيدةُ عنهنَّ ...
والريحُ حدُّ
روضةٍ من حليب الغمامِ المراقِ على عطشي
كلُّ رمّانها الأنثويِّ يراودني في سرير الفراشةِ
عن حنطة في الفضاءِ البهيرِ
خواتمها، شمسها، ريحها،
صحوها، ماؤها، قلبها المتسارعُ، خلخالها، صُبْحها، ليلها ...
كلّها إذ أجيءُ تراودني ...
/ عندما كنتُ أنظرُ إليها كانت غاباتُ استوائيةٍ تشهقُ
تحت جلدي وتهرول الأهمار الشمسيةُ تحت ثيابي
عندما كانت تنظرُ إليّ كانت اللحظةُ تتحوّل إلى

سنين ضوئية مملوءة برائحة طيور الماء /
كنتُ أبحثُ عن وجهها في حديقة أركاديا
في دموع العصافير وهي تحتُ القصائد نحو الشمال
وفي قدمين حليبتين...
أفتشُ عن نبضها المتسارع
في القلب مثل دُفوفِ المعارك
أبحثُ عن عطرها في الهواء
المكثف حتى النخاع برائحة المرأة/ العولمة
كنتُ أتركُ في كلِّ برِّ صدى قلبي القرمزي...
وأسكبُ في كلِّ بحرٍ دمه...

.....

لأجلك شيءٌ لديّ ولا أستطيعُ الكلامَ
ولا الصمتَ...
من أينَ هذا الشعورُ الذي يشبه الذنبَ
أو لعنةَ الحبِّ؟ من أينَ هذا الشعورُ؟

.....

لا تخفكِ الذئابُ التي لبستِ دمنًا خاتماً خاتماً
وادّعي كما سوطراً لترتيبِ أعضائنا

.....

امنحينيَّ مجدَ الجمالِ وأعطيكِ مجدَ الكلامِ.

أكتوبر 2005

رغبةٌ لا تلحُّ سوى بالبراكينِ

فسحةٌ لمساءِ الكلونيا
لأنهارِ صوتكِ تمخريِ دون قوسِ
يوثُرُ خيطِ دمي لخطاكِ على كوكبِ
يشربُ الملحَ منها فتشربني
فسحةٌ لدموعِ أثيريةِ في الفضاءِ
لرائحةِ لا تفسرُ حُبِّي المتممَّ
للماءِ والرملِ في رغبةِ لا تلحُّ سوى بالبراكينِ
خضراءَ تصعدُ مني ومنكِ
على زمنِ مائلٍ في الجسدِ
نحو هاويةِ للأبدِ
أتدلى كجبلِ دموعكِ من زرقَةِ الأغنياتِ
وأكتبُ بالنفسِ المتلعثمِ صوتكِ حينَ يمرُّ ملاكاً
من البرقِ يزرعني بنباتِ الأنوثةِ
يفصدُ روعي فيجري اشتهاي
إلى نهرِ قلبكِ.... يجري دمي وهوائي
إلى قُبَلٍ في سباتِ
بعيدٍ.... وتجري الحياةِ.

في القدس أعرف من أنا

في القدس يحملني هواء الأنبياء
تشقني الرؤيا إلى نهرين من ندم عميق الريح
لا نفسي تراودني عن الأشياء
أسأل مرة أخرى هواء الأنبياء:
القدس أرض أم سماء
من رخام ساجد قدام مجد الله ؟
من حولي ملائكة و حور في الفضاء
يسبحون وينفضون ندى الأمان على غزال القلب
وهو يفر من زهر الذبول
ومن زبانية يعرثون الأساطير الجديدة من
هواء الذكريات ومن صدى الأحلام وهو يصبني
دمعاً على صحرائهم
ويفتشون دمي عن المعنى القديم
هنا لأول مرة يبكي صلاح الدين في
أمام مجد الله
يخلع رغبتى، ويسير محني الجبين
يشده شوقي... هنا
في القدس أعرف من أنا
ملء المكان وما أريد
في القدس يملأني الهواء بما أريد

موسيقى البحر

حُبُّ بلا امرأةٍ يغلفُ نومهُ المرئيَّ بالكلماتِ
تقطرُ من دموعِ النورسِ البريِّ...
... كان غنائُها المائيُّ

يجرحهُ كزقزقةِ العصافيرِ الغربيةِ عن سماءِ الله
كانَ معباً بالبرقِ من أعلاهُ حتى أخصِصَ القدمينِ
يبحثُ في خلايا الأرضِ عن منفىٍّ ومفردةٍ بلا ماضٍ
يؤنثها يُعيدُ بها تفاصيلَ الروايةِ أو يدقُّ بها
على الروحِ التي نامتْ على وجعِ الترابِ
بلا مراودةٍ ويحتضنُ الفضاءَ
بلا يدينِ وقبليتينِ من السرابِ المهشِّ
ينظرُ دوغماً شفقٍ بعينِ غزالةٍ مذبوحَةٍ
بهمالٍ شهوتهِ/ مرايا للغيابِ

روحي وروحكِ طائرانِ
يصفقانِ مدى الحياةِ على مياهِ النيلِ
آخرُ ما يقولُ الماءُ
روحي لحظةً لسناكِ
تبصرُ فيكِ معنى اللهِ واللغةِ الوحيدةِ...
قالَ وهو يلمُّ زهرَ اللوزِ
والبلّورِ عن جرحِ البلاغةِ عن شفاهِ الرُّوحِ

كَانَ غُرُورُهُ يَبْكِي عَلَى صَخْرِ النَّسَاءِ
وَيَزْرَعُ العَطَرَ الحَزِينَ عَلَى دَمٍ
النَّارِنجِ فِي نَارِ القَصِيدَةِ كَيْ يُضِيءَ بِهِ الضَّبَابُ

لوركا ابتسامتهُ تضيءُ غيَابَنَا الشَّتَوِيَّ وهو يموتُ
من أَجْلِ الحَقِيقَةِ مُغْمَضَ القَبَلَاتِ
تَحْتَ شِفَاهِ عَشْتَارٍ وَنَانَ

عَيْنَاكَ حَامِلَتَانِ
حَامِلَتَانِ
مِثْلِي كُلِّ أَشْوَاقِ الزَّمَانِ

كفَاكَ آخِرَ مَا تَبَقِيَ مِنْ حَنِينِ المَوْجِ
يَرْفَعُ رَغْبَتِي أَبَدًا إِلَى غَيْمِ نَبِيلِ الأَرَجْوَانِ

سَأظَلُّ مَبْهُورًا أَتَمَّتْ بِاسْمِكَ المَمْلُوءِ بِالأَلْوَانِ وَالنَّيَاتِ
حَتَّى حِينَ يُسَلِّمُنِي يَهُودَا لِلرُّعَاعِ
الحَاقِدِينَ عَلَى زَهْوَرِ البَيْلَسَانِ

سَأظَلُّ مَأخُودًا بِمَوْسِقَاكَ
أَرَكُضُ مِثْلَ نَهْرٍ دُونَ مَجْرَى الحُبِّ
فِي بَرِيَّةٍ عِذْرَاءَ خَارِجٍ صرَخْتِي ضِدَّ الزَّمَانِ

لا أمسُ لي لا حاضرٌ... والوقتُ أضيقُ من شفاهِ
الوردةِ الحمراءِ تمطرُها دموعُ المعدادِ
وحدي أهوُّمُ في الفضاءِ الهشِّ
في أدغالِ روعي... في أقاليمِ الندى
والشمسِ، في لغةِ الضبابِ
وفي سديمِ العشقِ والصمتِ المُحبِّ
لعلني أجدُ القصيدةَ أو أرى ذهبَ الينابيعِ البعيدةِ فيكِ
يعروني ويمتصُّ ارتعاشَ مجرَّةِ حُبلي
تنامُ على رمادِ الأفعوانِ

سيدوبُ حبرُك في كالمقلاتِ أو كندى الكواكبِ
حينَ تحضُرني الرؤى أو حينَ يمطرُني لهيبُ النرجسِ
البريِّ في دمكِ المعبِّأ بالمزاميرِ
التي سأقولُ في غدكِ المكسرِّ، مثل بلورِ الزمانِ
عليَّ والمصبوبِ في بكاءِ
شلالِ يفجرُ من دموعكِ غابةً من أقحوانِ

لا شيءَ لي إلا صراخَ الروحِ في عينيكِ
يرفعُ شهقةَ النعناعِ في قلبي وأمطارَ الكمانِ

لا شيءَ لي الا موسيقى البحرِ
تأتي من شمال اللوز
في جسدٍ تفتَحَ زهرُهُ قبلَ الأوانِ

أبدٌ يلمك من صفاتي كلها
ويُلمني أنا من صفاتك
ويُعيدني من تيه أعضائي
إلى مهدٍ خرافيٍّ على أمواج ذاتك

بربيع قلبك تحلمين
وبضحكة الشمس البريئة وهي تغرق في الدخان
في دربك الغابي على قرع
البرابرة الإباحيين قلبك في جنون
ستقولُ عنك خطيئتي ما ليسَ تفهمهُ يدانُ



بلا كلمات

ذاتَ يومٍ سأكتبُ ديوانَ شعريِّ بلا كلماتٍ
أحاولُ فيهِ اجترَاحَ المعاني التي احتبستُ في
غصونِ دمائي منذُ سنينٍ
وسأعشقُ من غيرِ عاطفةٍ وأعانقُ أحلامي الضائعة
بغيرِ يدينِ ومن غيرِ ثغريِّ أقبلُ وجهَ الضبابِ

وكالآحرينِ أعيشُ بلا حاضرٍ
دونَ ماضٍ ومستقبلٍ وبلا ذكرياتٍ
مثلَ نقطةِ ماءٍ ببحرِ اليبابِ
مثلَ أغنيةٍ من حنينِ الترابِ
مثلَ ذرَّةٍ رملٍ لحلمٍ صغيرٍ وحيدٍ
ينامُ على ضفةٍ شاسعةٍ
في خيالِ الغدِ الحلو... مثلَ بذورِ الزهورِ
ينامُ وعيناكِ ليلٌ طويلٌ / خضيلٌ / ونورٌ

ذاتَ يومٍ قريبٍ بعيدٍ
سأعشقُ هذي الحياةَ بكلِّ غباوتها...
كلِّ حكمتها اللادعة
وستنكري الأجديةَ يوماً
قبيلَ انتباهِ الصباحِ ودونِ ثلاثينِ فضيةٍ
دونما لغةٍ مشتتةٍ تسمُّرني فوقَ هذا الرنينِ

اللعينِ على شفقِ الاشتياقِ

ولستُ كما الآخرينَ... أيجيؤنَ مثلي على هذهِ الأرضِ!؟؟
هل يدخلونَ وهل يخرجونَ من الانعتاقِ!؟؟
ويستسلمونَ لرفِّ السنونو المهاجرِ نحوَ الشمالِ ؟
ويغتسلونَ بماءِ الهلالِ ؟
وهل يبصرونَ بعينيِّ ذاكَ المهجيرِ الربيعيِّ
يلفَعُ روحَ الجبالِ ؟
فيحبُّونَ فيه تجلِّي الحياةِ
وهل يسمعونَ بأذنيِّ في روعةِ الظهرِ أو عندما
يرسبُ الوقتُ في قاعِ روجي عواءَ الجمالِ؟
وهل يسقطونَ على الأرضِ كالمطرِ الحارِّ
في شهرِ نيسانَ...؟ هلْ يعشقونَ الحياةِ
مثلما أنا أعشقها... بعدما حوَّلتُ كلماتي
دخانًا شفيفًا وأحلامَ قلبي هباءً ؟

آه سوفَ أصلي / لأجلي
وكفَّاي كالشمعِ تشتعلانِ
وعيناي معقودتانِ
بروحِ السَّماءِ

مناديل فاطمة

[فاطمة بالنسبة لي ليست مجرد رمز أنثوي فقط، وليست موتيف عشق عربي رتيب النغمة، مثلما هي عند الكثير من الشعراء العرب القدامى والأحياء، منذ امرئ القيس وحتى نزار قباني وأحفادهما. فاطمة عندي هي أعمق وأبعد من تجليات اللازورد في مرايا الروح والحضور المشتعل أبداً بأطياف الغياب]

من تحوّل لحظة حُبٍّ إلى امرأة - فاطمة
من تمرُّ على القلبِ عاصفةً من حرييرٍ
وتغسلُهُ ببراءةٍ أجفانها - فاطمة
من تصنّفُ أشياءَ رُوحِي لجغرافيا - فاطمة
من تعيدُ دمائي لمنبعها - فاطمة
من تعيدُ إلى قوسِ رُوحِي السهامَ التي انطلقتُ
والسهامَ التي احترقتُ دونما طائلٍ في فضاء دمي - فاطمة
وجهُها قبلةٌ هائمهٌ
فوقَ نهرِ الحياةِ... وللقلبِ لوعتها النائمةُ

تتلامسُ فوقَ رمادِ الغيومِ مناديلُها
وتوثثُ حُبِّي بصيفٍ يودّعُ أجراسَها في أعالي المزاميرِ
أو حيثما تتعانقُ أحلامنا ويدانا...
انزعي شهوةَ اللوزِ عن ماءِ قلبي
وخضرةَ ناركِ عن زمنٍ لم نكن فيه

غير الحنين لأشباهانا وسوانا
انزعي عبثاً أحمر الصوتِ مثل الزنابق...
تقضمُ قلبي الدقائقُ
في شجرٍ من زجاجٍ توزَّعَ في جسدٍ مخملي...
دنوتُ إليه قليلاً فصرتُ خيوطَ هواءٍ
تُعلقُ شمسَ الغروبِ بعينيكِ أو بشباكِ الطفولة...
والقلبُ يحجلُ منك... فهل كلما اقتربتُ
قدماي من الجسدِ المخملي
تراكمتِ اللحظاتُ الجميلةُ وانغمستُ في رحيقِ الأبد؟
أين سيفكِ يستلني من رمادِ الأحدا؟

هو الحلمُ أنتِ أراكِ فأصرخُ :
يا جرحَ روحي / وصمتَ جروحي
أتأتينَ في آخرِ الشعرِ تفاحةً من لهيبِ الأنوثة؟
تبكينَ يا نورسَ القلبِ؟... تمشينَ حافيةً في دمي؟
كضياءِ النجومِ الأخيرِ / فأجثو على ركبتي
من الثلجِ والجمرِ في معبدِ التائهينَ
وفي ضفّةِ الظامئينَ الى أخرياتِ الفرحِ
حلمٌ كانَ رنجي... ودماءُ السماءِ
تغطّي الظلامَ المضيءَ بقنديلِ رؤياكِ
لا شيءَ يغسلني من خطاياي إلا دموعُ خطاياكِ
لا شيءَ يرفعني مثلَ نهرِ الدُخانِ
من الأرضِ غيرُ تشهيكِ

شيئاً كمعجزة تتغلغلُ فيّ وفيكِ
فما الفرقُ بيني وبينك؟؟
أسألُ آخرَ سربٍ وجوهٍ يمرُّ علينا
جوابك: لا شيءَ لا شيءَ إنَّ سمائي جدارٌ
وإنَّ ملاكي شبحٌ

أحبُّك حتى بكاءِ البراري رماداً وحرّاً بعينيّ حتى
تفيضَ الجبالُ على ساكني البحرِ حتى تصيرين نرجسةً
وتصيرِ الغيومُ نثاراً من الورقِ المعدنيّ
وحتى تصيرين قوسَ قزحٍ
سنحياً ويلفظُنا البحرُ والصخرُ
نهجرُ مملكةً من نحاسٍ تقطعُ لحمَ النبيّينَ
تبصقُ في كلِّ وجهٍ يمرُّ عليها دمُ الشعراءِ المعذبِ
يحكمها جنذبٌ شاربٌ للعيونِ وللقلبِ
يرقصُ فوقَ ضحاياها في طربٍ ومرحٍ

ربيع 2005



كان لا بدّ من فسحة

شاعرٌ كان ينظرُ في قلبِ دوامةٍ
فيرى حاسةً تسجبهُ

في روى نفسه.. كان يكتبني.. كنتُ أقرأه
صار يقرأني.. وأنا أكتبه
كان أضيّق من ضمّةِ حلمه
كان أوسع من رغبةِ يومه
كان يمنحني وأنا أسلبه
حنينَ الغيابِ إلى غده
وإلى قبلةٍ أشعلتُ دمعَ قنديلها في دمي...

شاعرٌ كان ينظرُ في قلبِ أغنيةٍ
فيرى امرأةً من طيورِ ضبايةٍ تستحمُّ بقوسِ قرحٍ
وحماماً على شاطئِ أبيضٍ المنتهى سابقٍ لمحيءِ الفرخِ
شاعرٌ كان ينظرُ في قلبه فيرى قمرًا أزرقَ المبتدى
ويرى موتهُ المختَرَحُ
فتدمع أشجارهُ بالنساءِ

- الحياة بدونك أقدرُ من أن أُطخَّ روجي بها-

شاعرٌ خاسرٌ علمتهُ مراراته أن يرى
الحبَّ عبرَ عيونِ زجاجيةٍ صبَّ فيها الجحيمُ براكينه
ويرى صوتهُ ميمًا في بلادِ خرافيةٍ
في مخالبِ طائرِ رُخٍ كما السندبادُ

شاعرٌ جسْمُهُ ليلكُ غامضٌ عَجَّتُهُ ليلي الرِّمَادُ
بدموعٍ أثيريةٍ ذرفتها خيولُ الفتوحاتِ
أسيجةٌ للصحارى
وأسيجةٌ لحدائقِ كسرى
كان لا بدَّ من فسحةٍ مُرَّةٍ ليرى الوقتَ في هيئةِ
امرأةٍ هربتْ من سدومٍ
كان لا بدَّ من حبهِ اللاّ-إرادِيّ كي يُزهرَ اللوزُ
ثانيةً وتنامَ على راحتيه الغيومُ
كان لا بدَّ... من موسمٍ في الجحيمِ

شاعرٌ قالَ لامرأةٍ مرَّةً:
صفةٌ أنتِ أم حاسةٌ لضياعي
حين تنهشُ رُوحِي كلابٌ يهوذا
وتنهشُ قلبي عيونُ الأفاعي
حين لا شيءٌ يملكنا ترقصُ الراقصةُ
فنوزِّعُ ماءَ الغناءِ على طيرِ أرواحنا
قبلاً في عراءِ الموسيقى
التي اهتمرتْ من عذاباتنا
ترقصُ الراقصةُ
والقصيدةُ ناقصةٌ ناقصةُ



طيور الشوق الأبيض

قلبها نقطةً من غناء الطيور
ومن لمعان دموع السماء
وقلبك حلم الأوتوبيا
التي احترقت في جحيم النساء
بعد هذا الصباح النبيل
الطيورُ تهاجرُ من جسد نائمٍ في القطيفة
تسكنني مثلما تسكنُ الرائحة
رغبةً البارحة
شبه نائمة في سرير القصيدة
عاريةً من دم الأرجوان
ومما يصيبُ الحديقة في أوّل الليل
أو آخر الصبح
عائمة في العبير...
انكسرتُ على شعرها كالهلال
المصاب بشوق الغريب إلى اللازورد...
هنا في مهبّ الطيور التي تحمل الماء
عن وجع البحر والأجدية
تحملُ عني جناح القصيدة...
في غرفةٍ لمرايا اشتهائي
ترتّبُ ما ضاع من يومها في سمائي

وتلبسُ من لمعانِ دموعِ النوارسِ في جسدِ أنثويٍّ
قميصاً مقفياً برائحةِ العشبِ
والحُبِّ في زمنِ طائرٍ فوقَ صحنِ فضاءٍ
يعلِّمُنِي لغةَ اللونِ رمبو
ولا شيءَ بي قابلٍ للغمامِ المسافرِ حتى الضياعِ

النوارسُ من حولنا غيرُ مرثيةٍ
تشربُ الدمعَ من مقلتيها
وتجفلُ عن شعرها مثلما القلبُ في عالمِ آخرَ
كلُّ شيءٍ بها قابلٌ للقصيدةِ حتى النخاعِ

آه يا سيِّدَ الصَّمْتِ ماذا أقولُ
وكلُّ الكلامِ الجميلِ تكسَّرُ في القلبِ
كلُّ الكلامِ الجميلِ
والقصيدةُ ضاعتُ ولم يتسنَّ
لأهمارنا في دمِ الرِّيحِ تصرُّخُ إلاَّ القليلُ



هي ما أورثته الينابيع

هي من وضعت حجراً كافرًا فوق صدري
فلا أستطيع التنفس
لا أستطيع تأمل نورسها المتوجس
أو ليلها اللازوردي
لا أستطيع تحمّل ما فاض
من ليل نرجسها تحت قلبي كشهد الطيور
ولا أستطيع الكتابة حتى
عن امرأة عبرت خلسة في دهاليز نفسي
ولم ينحن زهر عبّادها لغواية شمسي...
الكتابة حتى عن الصبح حتى عن البحر
حتى عن الفرح المتخفي بقبعة من دموع المهرج
حتى عن المشهد الجبلي
المشاكس حلم الطفولة... لا أستطيع
هي ما أورثته الينابيع للشاعر المتصعلك
يقطف أحلى الفراشات عن شجر الرمل
يشعل شمع أصابعه لظلام الذئاب
ويسعى على قلبه لرماد امرأة
هي ما أورثته الينابيع لي
بعد عشر زنايق محشوة بالرصاص

وسبع حروبٍ وحُبٌّ غريقٍ بنهرِ البراندي
وردفينٍ من مرمرٍ أبيضٍ
بعدَ حبرٍ بروستَ المدوّخِ
بعدَ عصافيرٍ هتشكوكُ ملءَ المكانِ
وبعدَ بيكاسو وصمتِ قصائدِ رمبو
وصوتِ دمي في رسائلِ كوكتو
وأفلامِ هوليوودَ..... والغزلِ الجاهليِّ
آه بعدَ الجمالِ الأنوثيِّ في شعرِ شوقي بزيع
وبعدَ غموضِ الحنينِ إلى القاهرةِ
وإلى الناصرةِ
هي ما أورثته الينابيعُ
ما أورثته الينابيعُ..



سأختارُ جان دمو

استرحُ في قبرك الآنُ
أيُّها الملاكُ المعذبُ بلونِ نسوةِ بابلُ
فأنا في شهوةٍ لهجاءِ هذا العالمِ الداعرِ
والمصابِ بالسفلسُ بالنيابةِ عنكَ
بكلِّ ما فيه من أشباهِ رجالِ
وأولادِ كلابِ وزناةِ بالروحِ وبالجسدِ
وبغايا تقايضُ بنا في ساعةِ الحربِ
بعد كلِّ القصائدِ الساذجةِ
والبريئةِ التي كتبتُها عن الحبِّ والأوتوبيا
والمنقوعةِ بدمعِ لا-مرئيٍّ وبأنفاسِ النساءِ
المنقوعةِ بدمعِ طفولةِ الصيفِ

لا تحزنُ يا سيدي جان دمو
واسترحُ في قبركِ المفروشِ
برائحةِ الصَّفصافِ البريِّ
فقصائدكِ وقصائدي ضاعتُ
وحبيبتكِ بغدادُ ضاعتُ
في زمنٍ ضاعَ فيه كلُّ شيءٍ
حتى الضياعِ نفسهُ / حتى هولاكو نفسهُ ضاعُ
آسفٌ أنا على كلِّ حرفٍ كتبتُهُ...

كان نسمةً صيفٍ وشهقةً أقاحٍ وسوسنٍ
ولم يكن نارَ طوفانٍ هادرةٍ
فليسَ هذا العهدُ الذي قطعتهُ لكَ وللسيابِ
ولأملٍ دنقلٍ ولنفسي
إنَّ بي رغبةً لإحراقِ العالمِ بعودِ ثقابِ
لأخذِ بالثأرِ لكَ من سنينِ التشرّدِ والحرمانِ

أسفُ أيها اللازوردُ العراقيُّ الجميلُ
ويا ماءَ النيلِ المعذبِ
سوفَ ألقى اليكَ بوجهي عمًّا قليلُ

آه يا سيّدي الشاعرُ
أحلمُ أنا بقصيدةٍ هجاءٍ واحدةٍ
كانت على حافةِ لسانكَ وفي بريةٍ رוחي
ولم تقلها طيلةَ عمركَ الموزعِ في أبدِ الرّيحِ
قصيدةٍ هجاءٍ واحدةٍ
بدلَ ألفِ قصيدةٍ كتبتها في مديحِ الحبِّ الكاذبِ
ونسيتُ إحراقها في أتونِ امرأةٍ
وفي النهايةِ سأختاركَ
قبل اختيارِ محمودِ درويشِ ومثاليّةِ الحبِّ والحياةِ
في النهايةِ الموحجةِ كحياتكَ
كالمآسي الإغريقية... سأختاركَ
قبل اختيارِ سرفانتسِ وشكسبيرِ ودانتي وغيرهم

آه يا جان دمو.... كان أبناء أولمب المدللون
يركلون سيزيف من الخلف
وهم يتضحكون من مشيته المتثاقلة
سيزيفُ ابن الكلب لا لشيء سوى أنه طيب القلب
بينما الجلاّد في الجانب الآخر
يخاطبُ السجناء قائلاً:

أيُّها العاشقون لأسطورةٍ سخيّفةٍ باليةٍ تُدعى الحرّيةِ
انسوا كلّ الأفكارِ الحجريةِ في رؤوسكم
وامحوا كلّ العواطفِ النبيلةِ من قواميسكم المهترئةِ
فإنكم لستم في مشفى هنا
والذي يخالفُ التعاليمِ سيُجلدُ حتى الموتِ
أو يُقدّمُ لكِلابٍ جلعامشِ الضاريةِ كالنارِ

كان صوتُ الجلاّدِ الحشنُ يُجلجلُ في أغوارِ روعي
بينما أفكرُ في كتابِ "المدينة الفاضلة" لأفلاطون
وكتابِ "الأوتوبيا" لألدوس هسكلي
وأنظرُ دافعَ الروحِ إلى شعراءِ يأكلون وجباتٍ بطيئةً
من سياطِ النارِ في معتقلاتِ الحرّيةِ
سأختارُ جان دمو في زمنِ الرعبِ

حريف 2005

قصيدة إلى حواء

حبيبتي وزمانٌ منكٍ يحرمني
جودي بما نطفتُ عيناكِ روّيني
فربّما بعثَ الأشواقَ هامدةً
بين الجوانحِ أو أحيا شراييني
زقُّ بعينيكِ ليتَ الوهمَ يكسرهُ
عطرُ النبيذِ به، أم عطرُ تشرينِ؟
لم ينبجسُ بفمي إلاّ وفي خلدي
أحسستُ بالنشوةِ الحمراءِ تعروني
نعاسٌ خصرِكِ يجبوني مغالطةً
وليسَ في غفلاتِ الوعيِ يجبوني
يداكِ / أفعاكِ تهديني قرنفةً
بيضاءَ يا حليبِ اللوزِ والتينِ
يداكِ / أفعاكِ تهديني غزالَ دمي
يعدو... وسربَ سنونو منكِ تهديني
يداكِ / أفعاكِ عطرُ البرتقالةِ في
الفردوسِ مثلُ شذى التفاحِ يُشقييني
يا ليتَ من ملكوتِ اللهِ يطردُني
بلا متاعٍ... ويعطيني فلسطيني
يستصرخُ اللهُ قلبي حولتهُ يدا
حواءِ تفاحةً بين الثعابينِ
لا تخرجي اليومَ يا حواءُ من رثي

صارت أفاعيك في قلبي شراييني
يا أنت هل كل ما في الأرض من ألم
زمت عيونك من ماء الأمازون ؟
مقتولة فيك حوبائي ومنتحر
عليك - والوعة - قلبي بسكين
عشرون عاماً وقلبي باحث أبداً
ولم يجذك أيا روحي ويا عيني
عشرون عاماً وروحي عنك سائلة
نسائم الصبح، اضواء الرياحين
عشرون عاماً وأشواق الحياة إلى
هذا اللقاء بسوط الحب تحدوني
عشرون عاماً كبدر أنت يسكنني
وتطلعين كوشي من دواويني
الحب والشعر مجنونان مذ خلقتا
لم أدر فيك عراي أي مجنون؟
أحبك الحب حتى الموت ويلك أو
بقدر يا مهجتي ما لا تحبيني
كأنما أنت من هذا الثرى وأنا
من الهواء ومن نار الكوانين
كوني مجوسية، لا ليس تمنعني
عنك العذابات، أو جنبة كوني
رأيت الف سماء فتحت حبقاً
فيها النجوم على عينيك تدعوني

ما عدتُ أرهبُ أشباحَ الدجى
وسماواتٍ من النورِ عن بعدٍ تناجيني
تنحلُّ زهرٌ غواياتٍ وتحملنا
على رفيفٍ فراشاتٍ إلى الصينِ

قلبي يحدثني

قلبي يحدثني بأحورِ ألعي
ليكادُ من فمه السنن يتولّدُ
يطأُ الورودَ أو الخدودَ منعمًا
أحبُّ بنمرقه الذي يتوسّدُ
تبدو ثنياه العذابُ كأنما
عنهنَّ يحكي لؤلؤٌ وزبرجدُ
ورؤى عصافير العيون تشطُّ في
بحر الخيال الأنثوي وتطرّدُ
بابي ولفحة ضاله تترنّدُ
وغصون أضلاعي عليه تأوّدُ
مكسالُ مجتهد الحاجر أيّدُ
واه، كأن صفاته تتمرّدُ
يوحى نعيم الحُبِّ في تلفاته
ورؤى الشقاوة ظلّها يتجسّدُ

قَرَّبْ، ففني عينيَّ محرابُ الهوى
وفمي صلاةٌ للغرامِ ومعبدُ
قَرَّبْ فمن ثلجٍ شفاهك كلمةٌ
ظَلَّتْ بقلبي جمرةً تتوقدُ
قَرَّبْ فذاك حصادُ عمري كلُّهُ
وحطامِ أحلامي الذي أتقلدُ
يا ويح قلبي جَلَنارٌ من دمي
فمك الشهيُّ على فمي يتهدُّ
لك أمسُ هذا الحبِّ يا روعي ولي
رؤيايَ من فجرِ الحياةِ ولي غدُ
رَبَّيتُ شهدك في العيونِ محارةً
عينايَ تسبحُ والمياهُ زبرجدُ
العمرُ دونك ليلةٌ لا تنتهي
وشجاً يقرُّ وحسرةٌ لا تصعدُ
وأظلُّ أمشي في دروبِ حقائقِ
بالأمسِ ضيِّعها وماتَ الجهدُ
ويفيضُ عن معنى الجمالِ كما أرى
لفظُ لحسنك والجمالُ مُجرَّدُ
أبدًا يقرُّ به دمي أو منطقي
وتساؤلاتي فوقهُ تتردُّ
ما غايةٌ للقلبِ من أتعابه؟
والأمَّ يستبقُ الحياةَ ويجهدُ؟
يتنفسُ الأحلامَ من ذراتها

ويعيشُ بالشَّوقِ الذي لا ينفدُ
وبما يحصِّلُ من نعيمِ زائلٍ
يشقى فكيفَ على الشقاوةِ يسعدُ
يبغي سبيلَ الخلدِ سهلاً هيَّنا
والخلدُ أوعرُ ما يكونُ وأبعدُ
الحُبُّ ما صدئتِ رؤى أعماقه
فيه كنهرٍ ساحرٍ يتجدَّدُ
يا ويحهُ والخلدُ نومٌ مزعجٌ
هل مطبقٌ كابوسُهُ فمخلدُ
في برزخٍ ضافٍ كأنَّ سماءَهُ
لغزٌّ خلا لم يروِ عنه الهددُ
إذ شهريارُ يعودُ من برقٍ كما
فاضت فراشاتٌ على صدرٍ يدُ
تنحلُّ تحتِ شمسهِ البيضاء
والزرقاءِ أجسادٌ ويكي عسجدُ



وترية

وجهك مثل كوكب في الدجى
أو شئت مثل كوكب في النهار
والسحر من عينيك بي رنة
والشعر أجراس كثار كثار
يا قرّة القلب ويا برده
وجذوة الشوق به والجمار
وقزح الليل وأوانه
وفتنة الشمس به والنضار
كم قبلة تجرّ مني على
جبينك الغضّ أكاليل غار؟
كأنا معنى الهوى في فمي
وفي دمي لفظك ياقوت نار
قولي ربّ الحبّ ما ينبغي
وعالجي المدمع والابتدار
أين الذي منيت قلبي به
طول الهوى الخاوي وأين البدار؟
وكيف غيّبت سهيل الذي
يطلع بالموت وراء العقار؟
وكل بدر في سمائي فما
جماله إلا انعكاس معار
خلفت أودوسيوس ذاك الهوى

يجوسُ محروماً خلالَ الديارِ
وتنتلوسَ قطعَ الأمنياتِ
موصولةَ الحلمِ بمصرِ الثمارِ
وأغرقتُ نرسيْسَ في ذاتهِ
بحارُ عينيكِ وأيُّ بحارِ
على لماكِ الصخرِ إن تشهدي
من انكسارِ القلبِ شتى نثارِ
وبينَ كفيكِ الغداةِ التوى
عودُ الصِّبا بعد اصفرارِ وغارِ
وعدتُ من جنةِ أفعى الهوى
أزحفُ ملعونَ الخطيِّ بانكسارِ
سُدِّي عليَّ الأرضَ سُدِّي الفضا
وحاصريني من همومي بغارِ
سُدِّي عليَّ السمعَ بالأملِ
الفينانِ والمُورقِ بالاحضرارِ
سُدِّي عليَّ الليلَ عن ضجةِ
وعن عواءِ الذئبِ خلفَ القفارِ
أحبُّ أن أسمعَ لكنني
أخافُ من صيحةِ ذاكِ القطارِ
أحبُّ أن أراكِ لكنني
أخافُ من ظلمةِ حزنِ البحارِ

بأبي وروحي أنتُ

دعُ عنك ذكر السَّكناتِ قلوبنا
الناهباتِ السَّيَّياتِ السَّايَا
الراوياتِ الصَّادياتِ عيونها
والمبدياتِ المخفياتِ دواهيها
الجماعاتِ من الجحيمِ جنائنا
والمرسلاتِ أفاعيها وغواليها
الضارباتِ بأَسْفِيفِ مكسورةِ
حَبِّ القلوبِ الرَّامياتِ الرَّاميا
بالوجهِ أحفنِ ضوءٍ وجهكِ دونها
في هالةِ كالبدْرِ يسبحُ عاليها
يا بوح أيامي التي انكسرتُ على
قدميكِ وانحَلَّتْ زهورُ أضاليا
إني اتَّخَذْتُ جمالَ روحي عَفْيَتِي
في حينِ كانَ جمالُ جسمكِ زانيا
أحببتُ غيركِ في الحياةِ... زنابقُ
لوجوههنَّ غدتُ ترفُ حواليها
شلالِ زهرِ الضَّوءِ يهبطُ من علِّ
أرواحهنَّ مُعانقاتُ عذابيا
سأموتُ من حُبِّ ويشفَعُ لي لدى
ربِّ الجمالِ براءتي وبكائيا
وأنا ابن آدمِ في قرارةِ مهجتي

في كُلِّ حينٍ أجتلي حوائيا
أو أجتلي بي شاعراً في مؤمن
شيطانه لما يزل متساميا
وخلطت أدعية الصباح بخمري
ومزجت حتى بالخطيئة مائيا
ولحنت شمسا بضّة لعناقها
يسعى الفؤاد على الحرائق حافيا
ألفى يغيب الليل تبراً أيبضا
ويذوب في شفتي فجرًا هاديا
حتى لحقتك بالذنوب مُدججا
لأكن سراقاة في غرامك ثانيا
قوس من الدنيا يطاردُ خطوتي
والروحُ تلهثُ والسهامُ وراثيا
ولظى أبي لهب يمزقُ فطريقي
وسنا أبي ذهب يلوحُ أماميا
وحنينُ ذكراك الحبيبة دونها
عطشٌ يمزقُ ظفره أحشائيا
تنسل من ليل الزمان شمسها
من عالم حُضن الطبيعة غافيا
قد غلّفت قلبي الحياة بقشرة
كانت غشَاءً فانيًا أو واهيا
بأبي وروحي أنت يا قمرًا مشى
أفنى ظلام العمر فنيًا ساريا

ما زال يفتحمُ الصحارى والدُّجى
والقلبُ يخفقُ خائفاً أو راجياً
يا من أحبُّ ومن أُسرُّ غرامه
هونٌ عليّ القولَ يومَ تلاقيا
إيَّ وإن جانبتُ بعضَ جهالتي
وتوهمَ الأعرابُ قلبي خاليا
لتميتني شوقاً وتبعثني هوىً
لغد.. هناكَ ولا تحين تقاضيا
رؤياكَ تحملي كطفلٍ حالمٍ
لعوالمِ اليقظاتِ صقراً حانيا
روحي تفيضُ وما عساها تستوي
حتى تضمَّكَ والسَّنا المتعاليا



خربشاتٌ قزحيةٌ على فضاءاتٍ تشرين

تسألني "عيناف" ما يجري وراءَ
الشارعِ المرصوفِ بالحيرةِ والمشعلِ بالغناءِ
ما يجري وراءَ الابتساماتِ التي تُفتُّ كالزنبقِ
في آنيةِ الروحِ، فلا أجيئها إلاَّ بأنَّ أحلمَ
بالقادمِ من بعيدٍ من عشقٍ هلاميٍّ
وأنَّ أغمضَ عينيها على حدائقِ المساءِ

- أيُّ حنانٍ أخضرٍ قد جاءَ بي إليكِ من
قافلةِ الشمسِ، إذ دخلتُ مأخوذاً
بنورِ اللهِ، أو مبلاً بمطرِ الرهبةِ
في خريفِ أحزاني... على خاصرتي عشبٌ وفوقَ القدمينِ
أخضرٌ من ضحكتكِ الأولى
أنا آخرُ دوريٍّ جنوبيٍّ يناغي عبقَ الجراحِ
في فردوسكِ المفقودِ والموجودِ في دمي بلا انتهاءً

- أيُّ زمانٍ أخضرٍ قد جاءَ بي إليكِ
أنغامُ المزاميرِ التي قد ولدتني
لكَ وعلاًَّ جاحماً يشربُ من ماءِ
الجرّاتِ ويرعى ورقَ السَّوسنِ
من نظرتكِ الحبلى بضوءِ الحزنِ
من سنين... كي تصادقَ أخضراً

شمس الشرق ذات مرة
تكشف يوماً سرَّ هذا المحملِ
المزروع في أصابع النساءِ

عشرَ دقائق تجاذبنا بقوسيَّ قزحٍ
كانا جريحينِ وينزفانِ في الخارجِ بالعطرِ والضياءِ...
كان العصرُ من قمحٍ على أكتافنا ينمو...
مذاقُ التعبِ الضوئيِّ في أجسادنا ينمو
ونهرُ ضائعُ الوجهِ على أطرافنا يزحفُ...
كان القمرُ التاكلُ من أذرعة الموتى
التي جفَّ عليها الدمعُ يأتينا
على أهدابه نقشُ من المنفى الذي
يكمنُ في القلبِ.. وأشباهُ لعشاقِ
يحيئونَ بلا معنى ولا أسماءِ

وأنتِ في شرفةِ قوسِ القزحِ الخيليِّ
تبدينَ كراعوتَ / وعشروتَ في صلاتكِ البيضاءِ..
إنَّ الشفقَ الكحليَّ في عينيكِ مذبوحُ
ولا أدري إلى أينَ تطيرُ الخيلُ
من جسمكِ أو جسمي فيخضلُّ على آثارها النداءُ

إنَّ حَرِيرَ الشَّهْوَةِ الحَشَنَ يوارينا عن الزمانِ والمكانِ
قَبلي بقايا البحرِ في نفسي
وجمعي شظايا البدرِ منها يولدُ الإنسانُ
في دوائرَ مذهلةٍ من غبشِ الضوءِ الإلهيِّ
ومن أصدافه يخرجُ كالجوريَّةِ العذراءِ
أو كالشجرِ الرقيِّ من صدري...
إذا فلنوصد الماضي على الحاضرِ
ولنخرجُ من جَنَّتنا الآن...
نوايا العوسجِ البريِّ تؤذينا ويؤذي
مومياءَ الخوفِ من أنفسنا الهوَاءِ

أتسأليني...؟ رصاصٌ من جحيمِ الحُبِّ
في قلبي وفي الخارجِ يقتلونني "عيناف":
قومك يحفرون في دمي قبورهم
ويقتلون الأنجم القطبية
قومك يطفئون في عينيَّ دورهم
ويرحلون في الدجى للجهة المنسيَّة
نازعني حزني إليك
أمس كنتُ أحسبُ العمرَ
وكنتُ أعشقُ القمرَ
أصنعُ من كفيَّ وطنًا لوجهك وللقلِّ وللحمامِ
وأزرعُ الخيالَ أشجاراً، ومن عينيكِ
يا لفرحتي، أستنزِلُ المطرَ

سأحملُ المتاعَ والضياعَ من أجلكِ فجر غدٍ
وأهجرُ الضُّحىَ وحيداً... آه فجر غدٍ
من غيرِ أيِّ لمسةٍ وهمسةٍ وردٍّ
وأسكنُ الظلامَ من أجلكِ، إنِّي أعشقُ الظلامَ

أتعشقينني...؟؟ تزوجتُ بأنثى الموتِ في تشرينِ
أنثاهُ التي لم تتزوجِ أبداً مثلكِ...
أو بلعنةِ الزنايقِ الحمراء

آخرُ ما كنتُ به أهذي على بوابَةِ الحلمِ
وأبكي الوطنَ المضاعُ
/ عيناكِ في المنفى هما الوطنُ
هما اتصالي بالحكاياتِ والشوقِ الذي أضاءُ
في ظلمةِ الروحِ على مدِّ المسافاتِ التي
يجترّها قلبي كالهباءُ
هما السكينةُ التي تهبُّ كالأنسامِ
من جهةِ بيتي وهما الشجنُ
هما صراخُ القلبِ في الظلامِ
هما سماءُ الروحِ حين تغلقُ السماءُ
أبوابها أمامِ دمعِ الطائرِ الملتاعِ/...

تشرين أول 2001

على قدمي عشتار

قريباً قريباً سآتي
من رماد الجهات
من دخان الأساطير والأغنيات
من ندى نرجسي يصلي لعشتار
مستسلماً لهديل الصباحات
في القلب... من أبد المستحيل وحيفا
سوف آتي وأخلع عني سلاحي
كما كان يفعل فارسها
في الرجوع الأخير من الصيد
أو مثلما كان يفعل عاشقها
وأطوفُ بها شارعاً شارعاً
وأقبلها حجراً حجراً

السحابُ حليبٌ على يومها يابسٌ يابسٌ
والقصيدةُ دمٌ على خدها لا أقلّ ولا أكثرا

للحمامِ نصيبانِ من صيفها المتأرجحِ في ظلِّ ليمونةٍ
ونصبي منامُ الغريبِ على صدرها
وكلامٌ جميلٌ يراقُ على حبرها لا يُرى

سآتي وقد حرمشتني عصفيرٌ مائيَّةٌ في مساءِ القصيدة
والبلادُ البعيدة
تزوَّجني زرقَةً كلَّما جئتُها
كشتاتِ النيبينِ فيها شتاتي

كلُّ ما في الحياةِ يعبِّئني بعذابِ السنابلِ
كلُّ ما في الحياةِ يعبِّئني...
وأنا لستُ من نسلِ روما ونسلِ القبائلِ
كلُّ ما في الحياةِ حينئذٍ يشدُّ كبوصلةٍ لصهيلِ الجداولِ

قريباً قريباً سآتي
من تفاصيلِ أيَّاميَ الماضياتِ
وتفاصيلِ أحلاميَ المقبلاتِ
وأسندُ رأسيَ الثقيلِ بنارِ السنينِ إليكِ
أنا من رأى نجمَ كيتسِ يسافرُ في مقلتيكِ
وغزالةٍ لوركا تنامُ على راحتيكِ

اتركيني على قدميكِ لكي أستريحَ
ولو لحظةً من عذابِ القرونِ الوسيطةِ
فإني بنيتُ قلاعَ برابرةِ
ليسَ يأتونَ... روجي خريطةِ
لأبجادِ تلكَ العصورِ...
ألم تبصري الأقحوانَ الجريحَ

ينازعُ في نظراتي؟
ألم تبصريني على كلِّ طاحونةٍ شنقتني جدائلُ ريحٍ؟
ألم تبصريني؟... اتركيني
على قدميكِ لكي أستريحُ
اتركيني...

قريباً سأتي
من مساءٍ بعيدٍ لصيد النجومِ
من سماءٍ تربِّي حريرَ الهمومِ
من مرثيِّ إرميا... مع العجرِ الطيبين

أن أحبكِ يعني التشرّدَ في مطرٍ أزرقِ
في صباحِ ربيعٍ حزينِ
أن أحبكِ يعني الرحيلَ إلى جبلٍ من أنينِ
أن أحبكِ يعني الدخولَ إلى محنةِ المرسلينِ
والخروجِ المبلّلِ بالنرجسِ الأنثويِّ
على عتباتِ الشجونِ
أن أحبكِ يعني اعتناقَ النبوةِ في غرفِ المشركينِ

سأتي...
وقد قطفني جنازيرُ دبابَةٍ عن حنانِ الغصونِ
في الطريقِ المؤدّي لعينيكِ من جانبِ الطورِ...
لا شأنَ لي بامرئِ القيسِ

أو قيصرٍ تاجهُ من رمالٍ تهبُّ على الشمسِ
لا شأنٌ لي بصفافِ السنينِ...
ولا شأنٌ لي بالرخامِ المراقِ على قدميكِ...
لكنعانَ أن يتوضأَ بالدمِ عند انتصافِ النهارِ
ولا شأنٌ لي بنجومِ البحارِ
وخيولِ التتارِ
ولا شأنٌ لي بنبوءاتِ عرّافةِ الليلِ
لا شأنٌ لي بالملاكِ السجينِ
سأتي ولو قتلتني أغاني السَّرابِ
فراشةُ روحكِ عمري الذي نَقَطَتْهُ دموعُ الذئابِ
سأتي...
من رمادِ الجهاتِ
من دخانِ الأساطيرِ والأغنياتِ

نيسان 2002



لك ما تشاء، ولنا ان نحبك

(إلى سركون بولص)

لك الآن أن تترجّل عن حصان جسدك. لك الآن ما تشاء أيها الفارس العربي. لك أن تقطف وردة جورية تسيل على حافة الكون وتبللها بدمعك. لك الآن أن تحبّ الله وتعشق الكائنات التي تنظر إليها من الأعلى، وتشر الرذاذ الضوئي في ليل عيونها. لك ما شئت الآن ما شئت، ولنا أن نحبك ونؤثّث أحلامك بأزهار الصفصاف وبالمقاعد الخشبية على ضفة الجنة. وبالأشياء المصنوعة من أضلاعنا نحن. لك أن تكون شجرةً من صباح أبدي ونكون نحن العصافير والفرشات التي تسكن روحك المتجذرة في الشمس الشفافة الخضراء. نم هائنا قريير القلب والعين، أما روحك فلا. دعها ترفرف في مكان ما، كوكب ما، برزخ ما، جنة ما، بحر ما... دعها تزواج بين السماء والفضة غير المرئية، بين الوجود والعدم، بين الخاص والعام، بين اللفظ والمعنى، بين الحسيّ والمجرد، بين الذات والمطلق، كما زاوجت بين نهر الحبّانية وسماء سان فرنسيسكو، وبين عبير النخل العربي العراقي وغابات الورد والشفق في أوروبا. سلام عليك وبرد شفيف خفيف على أحلام روحك الممتدة في خيالات القصيدة العربية، مثل الأطياف السحرية الملونة التي نعدو خلفها أعماراً شتى، ولا نمسك بأطرافها الحارقة. قريبا يا سيد الوزن المرثي، قريبا ستفلت اللغة من عقالها الأرضيّ وتسبح خلفك، طائرة إثر خطواتك النبيلة، التي تجذبها كمغناطيس رهيب.

اللغة التي ربّيتها بأنامل من ماء وحرير عميق المرايا والرؤيا، مثل
الحشف البريء. مثل النجم المولود من رحم القطيفة، ووهبتها حريةً لا
تنبغي لسواها، وأنوثة أفحمت كل الأبيديات، وذابت في قصائدك
كإحساسٍ غريب يطفو في الجسد ويهزه بلطف، بلطفٍ بالغٍ وبياضٍ
مجهول، كقرون الوعول اللينة في أرض فينيقيا الجديدة.
لك أن ترقص الغزالات في الأعالي، أن تطير بجناحين من زهر غامض،
أن تحنّ إلى عالم السندباد، وإلى لهفة الفرات ودجلة، إلى صوت الحسن
البرصي. لك أن تسكن ملحمة جليجامش، ولا تعود أبدا. لك أن
تروّض الزمن العصيَّ على الشعر. لك ما تشاء، يا حوارِيَّ المزامير
الضائعة، ولنا أن نحبك.



إلى محمود درويش مع حُبي

مرحبًا بك أيّها النسر المهيب الوادع العائد إلى أعالي كرملة وعلياء
بهائه الروحي. أهلا بك أيها الملاك المطارد لا لشيء في فضاءاتنا
الجريحة بجبك. طيور الحجل الجليليّة كلّها في شوق لعودتك من أقاصي
المدن الخضراء المائلة إلى غروب شمس الأقحوان. الخيول المنحّنة التي
تركتها وحيدة وكسيرة تحنُّ إلى آخر نبرة لصوتك المملوء برائحة
الندى والشمس والأرجوان. آه يا سيد الشعراء هنا وهناك في الأمس
والآن. يا محمود درويش الذي أتعبناك بجنا وصلبناك. أما آن لهذا
الفارس الجميل النبيل كغرة الصبح أن يستريح؟ أما آن للصخور أن
تصبح قطنًا أبيضَ خفيفًا كضحكة امرأة كنعانية؟ أما آن لخطاك التي
انبتقت منها كل النوارس والطيور البحريّة المجهولة الوطن والرؤيا أن
تغفو قليلا؟ الآن وليس غدًا أمسح عن قلبك المسكون بالنيات
وخضرة النار البريئة غبار السفر. الآن وليس غدًا حدّثنا، وبلا
مقدمات، وباطناب مومج، حتى السماء السابعة، عن الأقمار البعيدة
التي أقمت بها وعن البحار التي وهبتك لؤلؤتي عينيك، وعن بلاد غربية
تخيّلية جبتها طيفًا لسندباد فلسطيني وحيد شريد. ستمرُّ في دروب
وتمسح على جباه المرائين بدمعك وتعفر للمقايضين بك في ساعة
الشدّة، والمسيئين لك بلا ذنب. ستمرُّ في دروب فتشيع فيها رائحة
الصندل البري والنارنج والغار. ستفرُّ من بين أصابعك العصافير التي
تركتها بلا أجنحة، والقصائد التي منحنتها لون زنايق صاحبك يانيس
ريتسوس، وأوراق عبّاد الشمس التي شكّلت هويّتك. وكانت لك
بمثابة الفراشات الصفراء لمركيز. سيرفُّ الحنين الذي شكّل كيانك
كطير زئبقي، كأخر قبلة لبياتريس، كأرواح الشعراء النازعة إلى سماء
أخرى، كوجه ريتا الذي تحوّل إلى نرجسة حجرية، كغزالات لوركا
البيضاء الهاربات إلى الأبد من جحيم الرصاص والرماد الأحمر.

في هذه اللحظة بالذات أعرفُ كم يملك الشعر من طاقة خيالية
وجمالية، ومن قدرة على اختراق الجمادات، وعلى ترتيب ما نعفَ
الزمن من ورودنا وأعضائنا واشتھاءاتنا وشتاءاتنا. أعرف بالضبط ما لا
يمكن أن أعرف. أمسك بكفيَّ هلامًا من فراغ أزرق.

الشعر هو أكبر مخلوق قادر على التحوّل في الفضاءات السحرية
والواقعية، وعلى تذويب لهفة الفينيق التي تحملها بجدارة، وقادر على
تشذيب أزهارنا البرية الملتفة الساذجة بسيفه الصقيل المصنوع من
الذهب، كسيف صاحبك نيرودا، وقادر أيضا أن يجعل منا أطيافا
لأشواقنا وآخرين لذواتنا. فمرحى لفلسطين بك وبهذا العرس الشعري
ومهرجان الحب الرؤوف بك وبنا ومرحى لك بها، أنت من أعطاهَا
عاطفة اللون. وحمل اسمها عاليًا فوق أسوار طروادة العصر. ودمت
أخيل عشقنا الأسطوري بلا مقتلٍ مؤجّلٍ ولو كرة الآخرون.

فهرس قصائد "موسيقى مرئية"

55	تسللت كآخر الأزهار	5	الحياة كما أنا أفهمها
56	سأصغي لعينين	6	غوايات
56	أنتسم رائحة النسيان	7	علمتني
57	سيرك	7	ما تشائين
58	وحددي مثقل برنينها	8	فوق هوة إيقاعها العابرة
60	قصائد إلى راشد حسين	11	أغنية تحت أمطار أبيابيلية
65	فضاء سريالي على حافة القلب	14	موسيقى مرئية
68	تقول القصيدة ما لا يُقال	18	النوارس في دمي تبكي
72	أحبك آه شفاعمرو	19	لهفة الفينيق
73	لا تصفي الحياة كما هي	20	حينما الوحي ينزف مني
75	غامض حبها في دمي	22	أغنية إلى طروادة ثانية
76	عندما... عندما...	25	محض قم وحيد
78	كأما سوطرا لترتيب أعضائنا	27	الحب الدامي
80	رغبة لا تلخ سوى بالبراكين	30	في مهيب العناق
81	في القدس أعرف من أنا	31	في الطريق
82	موسيقى البحر	32	رؤيا ماياكوفسكي
86	بلا كلمات	33	هنالك حب
88	مناديل فاطمة	34	وجهك خلفيتي في القصائد
91	كان لا بد من فسحة	35	ولا أنا عاشق حريتي
93	طيور الشوق الأبيض	36	هكذا حدثني صديقي
95	هي ما أورثته الينابيع	37	لي ولها
97	سأختار جان دمو	38	لن أبوح بسر كما
100	قصيدة في حواء	40	في لحظة ما
102	قلبي يحدثني	42	سماؤك تسكنني
105	وترية	42	بالأنمليين أغمض روحي
107	بأبي وروحي أنت	43	إلى ناظم حكمت
110	خربشات قزحية على فضاء تشرين	44	الحياة ذئبة
114	على قدمي عشتار	46	هكذا قال لي الرأسمالي
118	لك ما تشاء ولنا أن نحبك	48	رؤيا في سدوم
120	إلى محمود درويش مع حبي	51	أشجار تعانق حبك الأعلى
		53	عينا إلسا/عينا بودلير